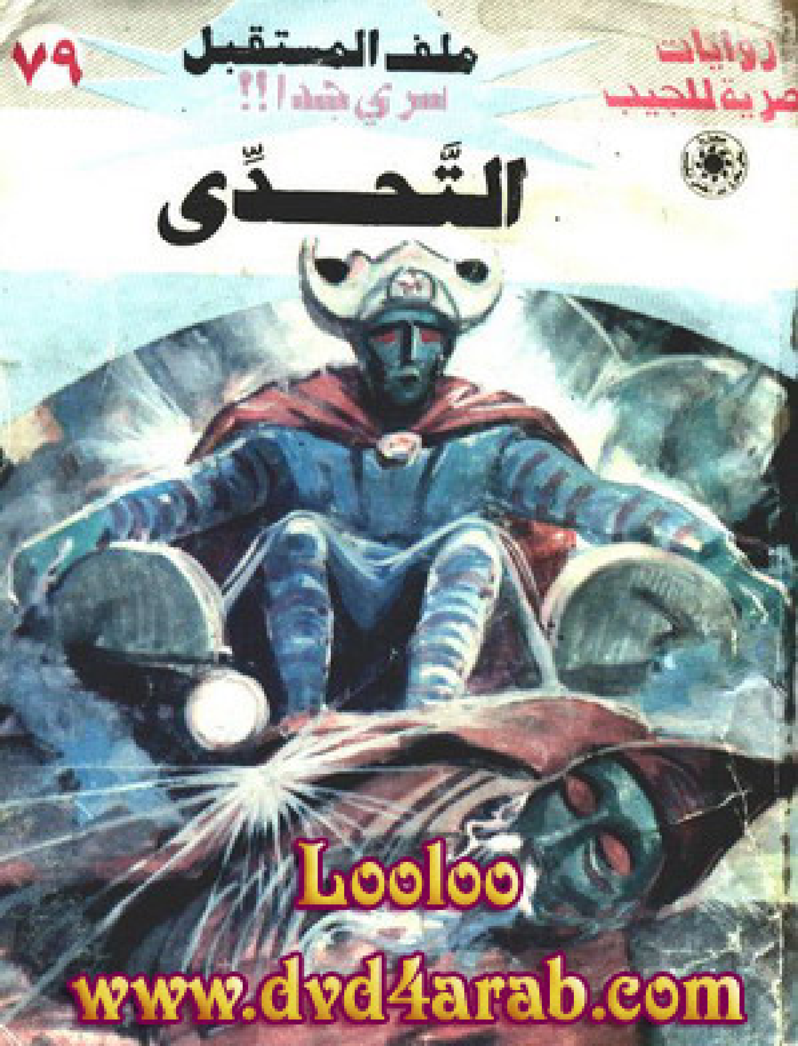


٧٩
ملف المستقبل
روايات
مصرية للجيب
التحدى
Looloo
www.dvd4arab.com



المؤلف

د. نبيل فاروق

التحدّى

٧٩

- ما مصير الأرض ، عندما يقرر الخلوت صب جام غضبهم عليها ؟
- ماذا يفعل (نور) وفريقه ، إزاء تلك الضربة الانتقامية العنيفة ؟
- من يربح هذا الصراع ؟.. ومن ينتصر في ذلك (التحدّى) ؟
- اقرأ التفاص[illegible] الـ[illegible]ة ، وشارك (نور) وفريقه ، في الـ[illegible]

الثمن في مصر

وما يعادله بالدولار الأمريكي في سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

العدد القادم : النصر



١ ــ القهــر ..

« انتبهو يا سكّان الأرض » ..

دوّى ذلك النداء ، عبْر شاشات الرصد ، فى جميع أنحاء الكرة الأرضية ، بكل اللغات المعروفة ، فى آن واحد ، كصاعقة مباغتة مخيفة ، تردّدت فى القلوب المرتجفة ، لشعب الأرض المقهور ، الذى يرزح تحت نير الاحتلال الفضائى اللعين ، وتوقّف كل مخلوق أرضى عن عمله ، وانتبه الجميع إلى ذلك النداء ، الذى يحمل صوت (كوماد) ، قائد قوات الاحتلال (الجلوريالى) للأرض ، وتوجّسوا خيفة ، فى تلك اللحظات القصار من الصمت ، التى أعقبت العبارة ، قبل أن يتابع هو فى صرامة غاضبة ، ساخطة مُحْنقة :

ــ منذ لحظة إلقاء هذا البيان ، نعتبر المخرّبين الأرضيين ، الذين يطلقون على أنفسهم اسم (المقاومة الأرضيّة) ، هم أعدى أعداء نظام إمبراطورنا العظيم ، وأن الانتماء إليهم ، أو تأييدهم ، أو حتى ذكر اسمهم ، يُعَدّ جريمة عقوبتها الإعدام سحقا .

سَرَت ارتجافة رُعب فى قلوب الجميع ..

كان من الواضح أن (كوماد) قد بلغ ذِرْوَة غضبه وثورته ..

وكان من الواضح أنه قد قرَّر رفع درجة القهر والتعنُّت ..

ولقد سَرَت موجة قلق عارمة فى النفوس ، وهو يستطرد :

— لقد تقرَّر بدء فترة حظر التجوال من الثامنة مساءً ، وليس من العاشرة ، وستستمر يوميًّا حتى العاشرة من الصباح التالى ، وسيتم سحق كل من يخالف ذلك ، حتى ولو كان أحد جنود (جلوريال) .. واعتبارًا من هذه اللحظة سيتم إلقاء القبض على من لا يحمل بطاقة التجوال الخاصة ، وإعدامه على الفور ، وسيحصل كل من يبلغنا بأيَّة معلومات عن المقاومة ، على مكافأة سخيَّة ، وعلى بطاقة خاصَّة ، تتيح له حرِّيَة التجوال والتنقُّل .. هذا للعلم والتنفيذ الفورى ، والمجد .. كل المجد لـ (جلوريال) ، ولإمبراطورنا العظيم .

انتهى البيان ، وساد صمت تام فى كوكب الأرض ..

لقد بدأ عهد جديد من الاحتلال ..

ومن القهر ..

* * *

كان ذلك العهد نتاج مرحلة رهيبة من تاريخ كوكب الأرض ..

مرحلة بدأت بسيل من النيازك ، التقطه راصد مركز الاستشعار الفضائى المصرى ، وحذَّر من اتجاهه نحو الأرض ..

وساد الذُعر فى كل كوكبنا ..

وراح سيل النيازك يقترب فى سرعة رهيبة ..

ثم جاء الرُعب الحقيقى ..

لم ترتطم تلك النيازك بالأرض ، بل هبطت فوقها فى هدوء ، واستقرَّت على نحو بالغ التنظيم والتعقيد ، فى كل القارات والدول ، ولم تلبث أن أحيطت بعدد من القباب الوردية ، مع اقتراب نيزك هائل من مجالنا الأرضىّ ..

وفجأة ، هاجم النيزك الهائل كل الأقمار الصناعية المحيطة بالأرض ، الدفاعية منها والهجومية ، وتلك المعدَّة لتحسين وسائل الاتصالات .. وحطَّمها عن آخرها .. بل دكَّها دكًّا ..

وفى نفس اللحظة بدأ الاحتلال ..

تحوَّلت كل القباب الوردية إلى اللون الأزرق ، وانطلقت منها مئات الآلاف من مقاتلات فضائية رهيبة السرعة ، تُطلق أشعة أرجوانية ساحقة ، راحت تطيح بكل معالم الحضارة على وجه الأرض ..

كل دور الكتب حُطِّمت ..

كل وسائل الاتصالات انسحقت ..

كل المتاحف ..

كل المسارح ..

كل مراكز الكمبيوتر والمعلومات ..

فى ساعات ضاعت حضارة قرون ..

فى دقائق انهار التقدُّم ..

ووسط كل ذلك الخضَمّ ، انطلق (نور) مع زوجته وابنته ، يبحثون عن رفاق الفريق ..

وعثروا على (محمود) فقط ..

وانطلق الأربعة إلى مقر قيادة المخابرات العلمية ، فى محاولة للبحث عن وسيلة أخيرة ، للتصدِّى للغزاة ، ووجدوا هناك القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، مع الدكتور (عبد الله) ، مدير مركز البحث العلمى ، التابع للمخابرات ..

وأعطى القائد الأعلى لـ (نور) حقيبة خاصَّة ، تحوى ، مكعبات كمبيوترية مبرمجة ، بها كل تاريخ وحضارة وفنون وعلوم وآداب كوكب الأرض ..

وكانت تلك الحقيبة هى أمل الأرض الأخير ، فى استعادة حضارتها يومًا ..

وانطلق (نور) ورفاقه داخل نفق سرِّى خاصّ ، فى نفس اللحظة التى راح القائد الأعلى يواجه فيها الغزاة ، مع الدكتور (عبد الله) ..

وفاز الغزاة بالجولة الأولى ، وارتفع علمهم الأزرق ، ذو الدائرة الحمراء ، فى كل أنحاء الأرض(*) ..

ومضى عام كامل على الاحتلال ..

وتحوّل (نور) إلى أسطورة ، يُتغنّى بها ، وينتظرها كل سكّان الأرض ..

وطوال ذلك العام ، راح الغزاة يبحثون عن (نور) فى شراسة وعنف ..

وتفتق ذهن (كوماد) ، قائد جيش الغزاة ، عن فكرة جهنمية ؛ لإجبار (نور) على الظهور ، وإرضاء إمبراطوره (آغرو) ، الذى آلى على نفسه ـ لسبب ما ـ أن يقضى على (نور) ، مهما كان الثمن ..

وأعلن (كوماد) أنه سيعدم والدى (نور) ..

واتخذ العدة لذلك ..

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأول (الاحتلال) .. المغامرة رقم (٧٦) .

وهنا كان على الأسطورة أن تنتقل إلى عالم الواقع ..

وظهر (نور) ..

ظهر في مشهد خرافيّ أسطوريّ ، شاهده كل سكّان الأرض ..

وكان مولدًا للمقاومة ..

ونصرًا ..

انتصر (نور) ..

أنقذ أبويه ، وعثر على رفيقيه (رمزى) والدكتور (حجازى) ..

وأعلن بدء مقاومة الغزاة ..

وجُنّ جُنون الإمبراطور (آغرو) ..

واشتعل غضب (كوماد) ..

وانطلقت كل عيون الحراسة للقضاء على (نور) ..

وعبْر جهاز ناقل ، فرّ (نور) من أمام الغزاة ..

وبدأ عهد جديد ..

عهد المقاومة(*) ..

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الثانى (المقاومة) .. المغامرة رقم (٧٧) .

وأعلن الإمبراطور (آغرو) الحرب الشعواء على (نور) ..

وأسفر (كوماد) عن وجهه البغيض ..

وقرّر (نور) ألا تتوقّف المقاومة أبدًا ، وأن تواصل حربها ضد الغزاة ..

وراح (كوماد) يستجوب رفاق (نور) في شراسة ..

وأرسل (رمزى) والدكتور (حجازى) إلى جحيم أرضيّ غامض مجهول ..

وعرّض (محمود) لعذاب رهيب ..

وبرز (نور) مرّة أخرى ، وانضمّ إليه (بودون) ، المقاتل (الأرغوانى) الصّنديد ..

وأعلنت المقاومة أنها ما زالت تقاتل ..

وانضمّ إلى الفريق بطلٌ جديد ..

(فارس) ..

مقاتل سعودى باسل ، وطيّار حربيّ سابق ..

وانتصرت المقاومة في جولتها الثانية ، وخسرت (بودون) .

وارتفع علم (مصر) فوق مقرّ قيادة (كوماد) ..

واستعاد (نور) رفيقه (محمود) ..
وأعلن بدء مرحلة جديدة ..
مرحلة الصراع ..
والتحدّى(*) ..

* * *

« لقد انهزمت يا (كوماد) » ..
أطلق الإمبراطور (آغرو) تلك الصرخة فى غضب هادر ، وثورة بالغة ، وهو يهبُّ من عرشه الإمبراطورىّ البلّورىّ ، داخل مركز قيادة الاحتلال ، فى صحراء (مصر) الغربية ، فتمتم الحكيم (جلاكس) ، وهو ينقّل بصره فى قلق ، بين وجه إمبراطوره الثائر ، ووجه قائد الجيوش الغاضب :
— الحرب سجال يا مولاى ، والعبرة بالنهاية .
صاح الإمبراطور هادرًا :
— أية نهاية ؟.. إن ذلك الرائد الأرضىّ ينتصر فى كل مواقعه وجولاته حتى الآن .. وقائد جيوشنا العظيم يخسر على طول الخط .

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الثالث (الصراع) .. المغامرة رقم (٧٨).

انعقد حاجبا (كوماد) فى شدة ، وهو يقول فى غضب :
— ماذا تريد بالضبط يا مولاى ؟
حدّق الإمبراطور فى وجه (كوماد) بدهشة ، لم تلبث أن استحالت إلى غضب هادر ، وهو يهتف :
— ماذا أريد ؟!.. ويحك يا (كومـــاد) !!.. ماذا أصابك ؟.. كيف تجرؤ ...... ؟
قاطعه (كوماد) فى حدّة :
— أجرؤ على ماذا ياسيّدى ؟.. إننى أشعر وكأننى لا أواجه إمبراطورى العظيم ، الذى نشأ فى شعب محارب ، اعتاد مواجهة النصر والهزيمة بالروح نفسها .. ألم نخسر حروبنا مع (أرغوران) من قبل؟!.. ماذا حدث بعدها؟.. لقد صبرنا وثابرنا ، حتى تحقّق لنا النصر عليه ، وانتقلنا منه إلى الأرض ..
وليذكر مولاى أنه هو الذى قرّر بدء الحملة على الأرض ، مخالفًا كل نصائح الحكماء والخبراء ..
صاح الإمبراطور فى غضب :
— إنها إرادتى السامية .
هتف (كوماد) فى حدّة :
— فقط ؟!

انعقد حاجبا الإمبراطور فى شدة ، وهو يرمق (كوماد) بنظرة ثائرة ، قائلًا :

ـ ماذا تعنى يا قائد الجيوش ؟

لوّح (كوماد) بذراعه ، هاتفًا :

ـ أعنى أننى أشعر فى بعض الأحيان أن الهدف الحقيقى لحملتنا على الأرض كان هذا الأرضىّ فحسب .

رانَ صمت مهيب بضع لحظات ، ثم قال الإمبراطور فى صوت هادئ ، بخلاف المتوقَّع :

ـ أى قول أحمق هذا يا قائد الجيوش ؟.. أتظن أننى قد حشدت الجيوش الإمبراطورية الفضائية ، وأعددْت خطة هذه الحملة ، بكل ما تتكبّده من مشاقّ ونفقات ، من أجل شخص أرضىّ واحد ، لم ألتق به فى حياتى أبدًا ؟

قال (كوماد) فى توتُّر واضح :

ـ أحقًا ؟!

عاد الإمبراطور يعقد حاجبيه ، قائلًا :

ـ أحقًا ماذا يا (كوماد) ؟

بدا صوت (كوماد) مُفعَمًا بالتوتُّر والحنق ، وهو يُجيب :

ـ أحقًا لم تلتق به من قبل يا مولاى ؟

سرَت ارتجافة عجيبة فى جسد الحكيم (جلاكس) ، عند هذه النقطة بالذات ..

لقد كان هذا السؤال يؤرّقه بالفعل ..

هل التقى إمبراطوره بـ (نور) هذا من قبل ؟..

ولم يحصل (كوماد) على جواب سؤاله ..

وكذلك الحكيم (جلاكس) ..

هذا لأن الإمبراطور لم يجب ..

لقد تجمّدت ملامحه لحظة ، ثم حملت صرامة الدنيا كلها ، وهو يقول :

ـ أخطأت يا (كوماد) .

ارتجف (كوماد) على الرغم منه ، وهو يتمتم مرتبكًا :

ـ معذرة يا مولاى .. إننى لم أقصد ..

قاطعه الإمبراطور فى حزم مخيف :

ـ لقد تركت هذا الأرضى يهزمك مرّتين ، وكان ينبغى أن أعدمك لذلك .

تمتم (كوماد) فى رهبة :

— مولاى.. إننى .....

قاطعه الإمبراطور مرّة أخرى ، فى صوت مخيف :

— سأغفر لك ذلك يا (كوماد) ، ولكن مغفرتى هذه مشروطة يا (كوماد) .. مشروطة بهدف واحد ..

وتحوّل صوته إلى كتلة من الجحيم ، وهو يستطرد :

— أن تحضر لى هذا الأرضى حيًا .. أو ميتًا ..

* * *



وتحوّل صوته إلى كتلة من الجحيم ، وهو يستطرد :
— أن تحضر لى هذا الأرضى حيًا .. أو ميتًا ..

٢ ــ الهجوم الثالث ..

تضافرت حواس (نور) ، واتحدت كلها فى أذنيه ، وهو يستمع إلى (محمود) فى انتباه كامل ، وهو يقصّ عليه ما حدث ، منذ وقع فى أسر (كوماد) ، حتى حرّره هجوم المقاومة الثانى ، ولم يكد (محمود) ينتهى من روايته ، التى قاطعتها تأوّهاته عشرات المرّات ، و (نشوى) تضمّد جراحه ، وآثار القيود الكهربية فى معصميه ، وكاحليه ، حتى ران على المكان صمت عميق ، وانعقد حاجبا (نور) على نحو أكثر عمقًا ، قبل أن تغمغم (سلوى) فى إشفاق واشمئزاز :

ــ يا للوحشية !!

أدار (نور) عينيه إليها فى هدوء ، ثم عاد يتطلّع إلى (محمود) فى صمت ، قبل أن يشبّك أصابع كفّيه أمام وجهه ، مغمغمًا فى رصانة :

ــ إذن فـ (كوماد) وإمبراطوره وجيشه مازالوا يجهلون مقرّنا السّرّى ..

لم يجبه أحدهم ، فنهض من مقعده ، وهو يستطرد فى جدّية بالغة :

ــ ولقد أرسل (رمزى) والدكتور (حجازى) إلى مكان ما ، أطلق عليه اسم (الجحيم)، وأشار إلى أن إمبراطوره الغامض يسعى جاهدًا لإقامته ، فى مكان ما من أرضنا ، ولغرض خفىّ فى نفسه ..

صمت لحظة أخرى ، ثم زفر متمتمًا :

ــ يا للغموض !!

عقد (فارس) حاجبيه بدوره ، وهو يقول :

ــ وما الذى يُقلقك فى هذا أيها القائد ؟!.. من الواضح أن هؤلاء الغزاة لم يحتلّوا كوكبنا عبثًا ، وأن لهم هدفًا لذلك حتمًا .

لوّح (نور) بسبّابته ، قائلاً :

ــ معرفة الهدف أمر بالغ الأهمية يا (فارس) ، حتى ولو بدا غير ذلك .

سأله (فارس) فى توتّر :

ــ وما أهميته ؟

أجابه (نور) على الفور :

— إنه المؤشر الوحيد لمعرفة طبيعة العدوّ ، وأسلوب تفكيره .

أضافت (نشوى) :

— ولا تنس أننا نجهل — حتى الآن — ما الذى يفعله الغزاة بأسراهم ، وإلى أين يأخذونهم ؟.. ولماذا ؟

مطّ (فارس) شفتيه ، ولوّح بكفّه ، مغمغمًا :

— لا أظن ذلك يصنع فارقًا كبيرًا ..

شرد (نور) لحظات ، قبل أن يتمتم :

— ربّما .

ثم التفت إليه ، قائلًا :

— وهذا لايمنع مع محاولة سَبْر غَوْر العدوّ .

شرد (نور) لحظات أخرى ، ثم أضاف :

— والقيام بهجوم ثالث عنيف .

تألقت عينا (فارس) فى حزم ، وهو يقول فى حماس :

— هذا هو القول .

ثم أضاف فى انفعال حماسىّ بالغ :

— كيف تقترح أن يكون الهجوم الثالث أيها القائد ؟.. هل نهاجم مركز القيادة الإمبراطورى ؟.. أم نرفع علمنا فوق ......؟

قاطعه (نور) فى حزم :

— إننى أسعى للفوز بنقطة قوة يا (فارس) .

ازداد تألق عينى (فارس) ، وهو يقول :

— كيف ؟

تنهّد (نور) ، وقال :

— لقد نجحت المقاومة فى الفوز بالهدف الأوّل لوجودها .. ألا وهو إثبات قُدرتها على الصمود والتحدّى ، والآن حان موعد خوض الهدف الثانى .

سأله الجميع فى آن واحد بشغف :

— ما هو ؟

فرد كفّه ، ولوّح بها ، قائلًا :

— أن نسعى لضبط ميزان القوى .

انتهت عبارته ، فخيّم صمت مريب على المكان ، وتبادل الجميع نظرات قلقة ، إلى أن غمغمت (سلوى) :

— ولكن هذا مستحيل يا (نور) فى الوقت الحالىّ على الأقل .

أجاب فى حماس :

لماذا ؟!.. لقد نجحنا فى صنع أزياء تنكّرية إليكترونية ،

تخدع حتى عيونهم الحارسة ، وأجهزة مراقبتهم ، وحصلنا على بنادق أشعة تخصّهم ، ولم يَعُد ينقصنا سوى بطاقات الأمن الخاصّة بهم ، وإحدى عيونهم الحارسة ، و .....

صمت لحظة ، التهب فيها شوق الجميع ، قبل أن يضيف :

ـــ وبعض مقاتلاتهم .

هتفت (سلوى) فى ذهول :

ـــ مقاتلاتهم ؟!

واتسعت عينا (محمود) ، وعقدت (نشوى) حاجبيها غير مصدِّقة ، فى حين هتف (فارس) فى حماس :

ـــ فكرة رائعة أيها القائد .

هتفت (نشوى) فى حِدّة :

ـــ ولكنها مستحيلة تمامًا .

التفت إليها (نور) ، وهو يسألها فى هدوء :

ـــ لماذا ؟

لوّحت بذراعيها صائحة :

ـــ هناك ألف سبب .. فبطاقات الأمن الخاصّة بهم مصنوعة من مادة غير أرضية ، ويستحيل تزويرها ، كما أن تجربتنا مع عيونهم الحارسة تؤكّد أنها مزوّدة بجهاز تفجير خاصّ ، مازلنا نجهل طبيعته ، حتى يمكننا إبطال عمله ،

أو حتى تجميده ، ومقاتلاتهم هى عقدة العقد ، فهم يحتفظون بها داخل تلك القباب الوردية المخيفة ، التى عجزت قواتنا فى السابق عن اقتحامها ، قبل أن يبدأ الاحتلال الفعلى .

ابتسم فى هدوء ، وقال :

ـــ كل هذه أمور يمكن تجاوزها .

تبادل الجميع نظرة الذُّهول مرّة أخرى ، قبل أن تهتف (سلوى) :

ـــ ماذا تقول يا (نور) ؟

اعتدل ، قائلًا فى حزم :

ـــ أقول إنها معركة ، بيننا وبين الغزاة ، وفى كل المعارك تكون هناك عقبات وحواجز ، وسدود يستحيل اجتيازها ، والنصر أو الهزيمة يتوقفان على الجانب الذى قَبِلَ التحدّى ، وتجاوز العقبات والحواجز والسُّدود .

قال (فارس) فى هدوء :

ـــ أو على فشله فى ذلك .

تطلّع إليه (نور) لحظات فى صمت وهدوء ، قبل أن يقول :

ـــ ربّما .

ثم ابتسم ، وهو يضيف فى بساطة :

ــ وفى الحالين لافارق .. الفارق الوحيد هو فى قبول التحدّى من عدمه .

ران الصمت لحظات أخرى ، قبل أن تغمغم (نشوى) .

ــ هذا يتوقّف على دراسة الأمر ، والخُطّة الموضوعة .

اتسعت ابتسامة (نور) ، وهو يقول :

ــ هذا صحيح .

تبادل الجميع النظرات ، ثم عقد (محمود) حاجبيه ، وهو يقول فى حزم :

ــ ومتى سنبدأ ؟

هتفت (سلوى) و (نشوى) فى آن واحد :

ــ نعم .. متى ؟

ابتسم (فارس) ، وهو يقول .

ــ رائع .. هذا يعنى أن الفريق كله قد قَبِلَ مهمّة إعداد الهجوم الثالث .

تألّقت عينا (نور) ، وهو يقول فى حماس :

ــ وقبل التحدّى ..

* * *

٣ ــ لُعبة الغزاة ..

كانت عينا (كوماد) الحمراوين تبدوان كجمرتين مُتقدتين ، وهو يتطلّع بهما ، عَبْرَ زجاج نافذة مقره الجديد ، عندما عَبَرَ أحد جنوده حجرته الواسعة فى خطوات عسكرية قوية ، وتوقّف خلفه ، ورفع قبضته بامتداد جسده ، قائلًا فى قوة ، وبلغة (جلوريال) :

ــ المجد للإمبراطور (آغرو) العظيم .

ظلّ (كوماد) صامتًا لحظات ، ثم التفت إلى الجندىّ فى بطء ، وهو يقول فى لهجة تحمل نبْرة تحدٍّ واضحة :

ــ المجد لـ(جلوريال) .

بدت الدهشة على وجه الجندى لحظة ، وبدا وكأنه سيبدى اعتراضه على عبارة قائده ، إلّا أنه لم يلبث أن قرّر التخلّى عن ذلك ، وعدم الخَوْض فى مجادلات عقيمة ، ومتاهات معقّدة مع قائده ، واكتفى بأن قال :

ــ تم تنفيذ الأوامر ياسيّدى القائد .

تألقت عينا (كوماد) وهو يقول :

ــ هل عثرتم عليهما ؟

أومأ الجندى برأسه إيجابًا ، وقال :

ــ نعم ياسيّدى .. كانا هناك ، فى الجحيم الإمبراطورىّ .. إنهما أوّل أسيرين ذهبا إليه .

هتف (كوماد) :

ــ رائع .

ثم أضاف فى سرعة تشفُّ عن لهفته :

ــ أحضر أحدهما إلى هنا ، ولتوضع حراسة مكثّفة حول الثانى ، حتى أنتهى من استجواب زميله .

اعتدل الجندى ، وقال فى قوة :

ــ كما تأمر ياسيّدى .

ثم رفع قبضته المضمومة أمام وجهه ، هاتفًا :

ــ المجد لـ .....

بتر هتافه بغتة ، عندما لمح ذلك الغضب الصارم ، فى عينى قائده الدمويتين ، وتردّد لحظة ، ثم أضاف فى خفوت :

ــ لـ (جلوريال) .

ارتسمت ابتسامة باهتة على شفتى (كوماد) ، وهو يقول :

ــ أحسنت ..

انعقد حاجبا الجندىّ ، دلالة على عدم تقديره أو فهمه للموقف ، ودار على عقبيْه ، وغادر حجرة قائده ، الذى ظلّ ثابتًا ، ينتظر فى شغف ، حتى دفع أحد جنوده بشريًا إلى حجرته ..

وتألقت عينا (كوماد) فى ظفر ..

كان هذا البشرىّ الأرضىّ يبدو شديد الإنهاك ، زرِىّ الهيئة فى شدة ، وكان من الواضح أن جسده قد نحل ، خلال ذلك العام ، الذى مضى على أسره ، مع احتلال الأرض كثيرًا ، حتى لقد اختلفت هيئته ، وتباينت ملامحه على نحو ملحوظ ، مما جعل (كوماد) نفسه يعود إلى إحدى الصورتين ، اللتين انتزعهما من ملف (نور) ، قبل أن يرفع عينيه إلى الرجل ، قائلًا فى صرامة :

ــ تقدّم .

تطلّع إليه الأرضى بعينين حذرتين ، أضاع القهر والأسر بريقهما ، قبل أن يتقدّم نحوه فى توتّر ، فأضاف (كوماد) فى لهجة آمرة :

ــ اجلس .

تطلّع إليه الأرضى مرّة أخرى فى حذر وريبة ، وهو يغمغم فى عصبيّة جسّمتها غرابة الموقف :

ـــ لماذا ؟

أجابه (كوماد) فى حدّة :

ـــ أطع أوامرى فحسب .

حاول الأرضى أن يبتسم ، إلا أن الهوان الذى ملأ أعماقه لم يمنحه القدرة على ذلك ، فجلس صاغرًا ، ورفع عينيه إلى (كوماد) ، الذى أضاف فى لهجته الحازمة القاسية ، التى بدت غير قابلة للنقاش :

ـــ إننى أملك ملفًا كاملًا عنك .

لم يفهم الأرضى ما يعنيه ذلك ، أو ما فائدته ، إلا أنه غمغم فى حيرة :

ـــ وماذا بعد ؟

جلس (كوماد) ، وحدجه بنظرة صارمة قاسية ، وهو يقول :

ـــ لقد كنت صديقًا للرائد (نور) .. أليس كذلك ؟

ارتسمت على شفتى الأرضى ابتسامة باهتة ، واهنة ، وهو يجيب :

ـــ لو أنك تملك ملفًا كاملًا عنّى ، فلا ريب أنك لا تحتاج للجواب ، لأنّ المفترض أنك تعلمه بالفعل .

أجابه (كوماد) فى صرامة :

ـــ هذا صحيح .

وضرب الملف بكفّه ، مستطردًا :

ـــ إننى أعلم كل الأجوبة .

ثم مال نحو الأرضىّ ، مضيفًا فى حِدّة :

ـــ اسمك (عبد المنعم) .. الدكتور (عبد المنعم) ، ولقد كنت نائبًا لمدير إدارة البحث العلمى ، التابعة للمخابرات العلمية المصرية السابقة ، وصديقًا شخصيًا للرائد (نور) .

تمتم الدكتور (عبد المنعم) ، وقد تضاعفت حَيْرَته :

ـــ هذا صحيح ، ولكننى لم أخفِ شيئًا من هذا .

تابع (كوماد) فى صرامة ، وكأنه لم يسمع تعقيب الدكتور (عبد المنعم) :

ـــ ولقد تم أسرك ، مع نائب القائد الأعلى السابق للمخابرات العلمية ، فى مقرّ تلك المخابرات ، فى أوّل أيام الاحتلال .. وفى اليوم نفسه اختفى الرائد (نور) .



انقضّ عليه (كوماد) بغتة ، وقبض على عنقه فى قوة وقسوة ..

ومال نحوه فجأة ، مردفًا فى حِدّة غاضبة :

ـــ والسؤال هو أين ؟

تراجع الدكتور (عبد المنعم) فى توتّر ، وهو يغمغم :

ـــ أين ماذا ؟

ضرب (كوماد) سطح مكتبه بقبضته فى غضب ، وهو يهتف :

ـــ أين اختفى ذلك الرائد الأرضىّ ؟

عقد الدكتور (عبد المنعم) حاجبيه فى صرامة ، وهو يقول :

ـــ وما شأنى أنا بذلك ؟.. لقد أسرتمونى منذ عام كامل ، ولست أدرى أين يختفى الناس ، و .....

انقضّ عليه (كوماد) بغتة ، وقبض على عنقه فى قوة وقسوة ، وهو يهتف فى حَنَق هائل :

ـــ اسمع أيها الأرضىّ .. إخالك تجهل من تخاطب .. إننى (كوماد) ، فارس فرسان البلاط الإمبراطورى الجلوريالى ، وقائد جيوش الغزو .. ولتعلم أننى لن أتردّد فى تمزيقك إربًا ، فى سبيل معرفة مخبأ فريق المقاومة ، الذى يتزعّمه هذا الرائد الأرضىّ .

برقت عينا الدكتور (عبد المنعم) ، وهو يقول :

— فريق مقاومة .. مرّحى .. إذن فقد بدأت المقاومة بقيادة (نور) .. حمدًا لله .

استشاط (كوماد) غضبًا لموقف الدكتور (عبد المنعم) ، فدفعه بعيدًا فى غضب وسخط ، وهو يهتف :

— أيها الأرضىّ الحقير .

ثم هب من مقعده ، صائحًا :

— سنسُومك العذاب ألوانًا .. وستركع على ركبتيك طالبًا العفو .

ارتسمت على شفتى الدكتور (عبد المنعم) ابتسامة ساخرة ، وهو يقول فى حزم :

— عجبًا !! .. أتعنى أنك ستقنعنى بإتيان ذلك ، بعد أن فشل عام فى الجحيم فى هذا ؟!

صرخ (كوماد) :

— نعم سأفعل .

ثم عاد يضرب سطح مكتبه بقبضته ، هاتفًا :

— سأفعل أى مستحيل فى هذا العالم ، إلا أن أخسر المعركة هذه المرّة ..

هذا هو المستحيل .. المستحيل الوحيد !!

* * *

« كيف يا (نور) ؟.. » ..

ألقت (سلوى) هذا السؤال فى حيرة تامة ، وتوتر بالغ ، وهى تتطلع إلى (نور) ، الذى ابتسم فى هدوء ، وأجاب فى بساطة :

— الحرب خدعة يا عزيزتى .. ولو أننا درسنا الأمر ، مفترضين أننا سنحصل على بغيتنا بالقوة ، فستأتى النتيجة سلبية تمامًا ؛ لأن قوتنا — فعليًا — لا تقارن بقوة الخصم ؛ لذا فمن المهم أن ندرس الأمر من اتجاه آخر ، ألا وهو الخُدعة .

عادت (سلوى) تكرّر فى إصرار :

— كيف يا (نور) ؟.. حتى الخدعة ليست هيّنة ، عندما نوجّهها نحو هدف .. بل أهداف رهيبة كهذه .

جلس (نور) فى هدوء وبساطة ، وهو يشير إلى رأسه ، قائلًا :

— فلنعتبرها إذن لُعبة ذكاء .. لُعبة نختبر بها أيّنا أكثر ذكاءً .. نحن أم الغزاة ؟

ثم اعتدل مستطردًا فى حزم وجدّية :

— إننا نحتاج إلى اختراق إحدى القباب الوردية ، والحصول على مبتغانا منها ، والعودة سالمين .

ابتسم (فارس) ابتسامة حائرة هذه المرّة ، وهو يقول :

ــ دعْنى أسألك أنا هذه المرّة أيها القائد .. كيف ؟

ابتسم (نور) بدوْره ، وهو يقول :

ــ لقد ألقيت هذا السؤال على نفسى ، ودرسته ، ثم توصّلت إلى جواب منطقىّ .

ونهض مستطردًا فى حزم :

ــ وإلى خطة الهجوم الثالث ..

* * *



٤ ــ الخُــدعة ..

بدا نائب القائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية فى حالة يُرثَى لها ، بعد عام كامل من الأسْر والعذاب والقهر ، والعمل فى أعماق الجحيم الإمبراطورىّ ، حتى أن وجهه كان شديد الشُّحوب والنُّحول ، وهو يجلس أمام (كوماد) ، الذى بدا ببشرته الخضراء ، وعينيه الحمراوين بلون الدم ، أشبه بشيطان غاضب ، يقول فى ثورة :

ــ اسمع يارجل .. إنك ستعترف بما نريد ، إن عاجلًا أو آجلًا .

تطلّع إليه نائب القائد الأعلى بعينين خابيتين ، وهو يغمغم :

ــ هل اعترف الدكتور (عبد المنعم) ؟

قال (كوماد) فى جِدّة وصرامة :

ــ سيفعل حتمًا .

ارتسمت على شفتى نائب القائد الأعلى ابتسامة شاحبة ، وهو يقول :

— لِمَ تحتاج إلى اعترافى إذن ؟

انعقد حاجبا (كوماد) فى شِدَّة ، وهو يقول :

— اسمعنى جيّدًا أيها الأرضى .. إننا نعلم كل شىء عنك ، وعن كَوْنك آخر قادة المخابرات العلمية المصرية ، قبيل الاحتلال .. ونحن على أتم ثقة من أنك تعرف مخبأ المقاومة الحالى .

تمتم نائب القائد الأعلى فى هدوء :

— لماذا ؟

ضرب (كوماد) سطح مكتبه بقبضته فى عنف ، وهو يهتف :

— لأنه من المستحيل أن يكون (نور) هذا قد صنع مخبأ المقاومة ، تحت سمعنا وبصرنا ، وبكل هذه الدّقة فى التخفى .. الأكثر منطقية هو أن هذا المخبأ كان موجودًا بالفعل ، وأنك أنت تعلم به .

ثم مال نحو نائب القائد الأعلى ، مستطردًا فى وحشية شرسة :

— وستخبرنى به ، حتى ولو اضطررت لبتر أطرافك كلها ، واحدًا بعد الآخر .

رَانَ الصمت لحظات ، ثم قال نائب القائد الأعلى فى هدوء :

— لا داعى لكل هذا .

تألقت عينا (كوماد) فى لهفة ، ثم لم تلبثا أن استحالتا إلى جمرتين مُتّقدتين باللّهب ، ولم يلبث لون بشرته الأخضر أن تحوّل إلى لون زيتونى داكن ، عندما أضاف القائد الأعلى بنفس الهدوء :

— سأخبرك بكل ما أعرف عن هذا الأمر .. بكل شىء ..

* * *

تنهّدت (مشيرة محفوظ) ، صحفيّة الفيديو اللامعة سابقًا ، وهى تضع أمام (نشوى) أسطوانة صغيرة ، قائلة :

— أظن هذا هو التسجيل الهولوجرافى الوحيد له .

تمتمت (نشوى) ، وهى تلتقط الأسطوانة فى حرص، وتدسّها داخل جهاز خاص :

— سيكفى لو أنه واضح .

قالت (مشيرة) فى حزم :

— إنه كذلك .

لم يبدُ على وجه (نشوى) أى انفعال ، إثر كلمة (مشيرة) ، وإنما راحت تتطلّع إلى شاشة الهولوفيزيون أمامها فى شغف ، وهو يعرض صورة مجسّمة ، ثلاثية الأبعاد ، لوجه (كوماد) ، وغمغمت :

— رائع .

سألها (نور) في اهتمام :

— هل تصلح ؟

أومأت برأسها إيجابًا ، وهي تقول في حماس :

— بالتأكيد .

ثم التقطت الأسطوانة من الهولوفيديو ، ودسَّتها في تجويف شريطي خاص، أسفل جهاز الكمبيوتر الخاص بها ، وهي تضيف :

— لقد أنتجنا هذه الأقنعة من قبل ، وكل ما نحتاج إليه هو أن ننتج قناعًا يشبه قائد الأوغاد هذا تمامًا .. وسيقوم الكمبيوتر بدراسة ملامحه ، عبْر صورته الهولوجرامية بمنتهى الدقة ، ويضيفها إلى برنامج التصنيع ، ثم ينتج قناعًا مطابقًا لوجهه تمامًا ، وبعدها سنصنع زيًّا تنكريًّا ينطبق عليه انطباقًا تامًّا ، بدراسة جسده وأبعاده ، وحتى درجة حرارته .

وابتسمت في حماس ، وهي تتابع :

— اطمئن يا أبي .. ستصبح صورة طبق الأصل منه ، بعد ثلاث ساعات على الأكثر .

تنهَّد (نور) في ارتياح ، مغمغمًا :

— عظيم .

ثم التفت إلى (محمود) ، مستطردًا :

— قل لي .. كم رجلًا لدينا هنا ؟

أجابه (محمود) في قلق :

— سبعة رجال فقط يا (نور) ، وهذا يشملنا أنت وأنا .. ثم هناك ثلاث نساء : (سلوى) و (نشوى) .. و (مشيرة) .. ولست أظن هذا العدد يكفي يا (نور) .

ارتفع فجأة صوت مرح يقول :

— أهذا العدد يشملني أيضًا ؟

التفت (محمود) إلى مصدر الصوت ، وقال :

— نعم يا (فارس) .. إنه يشملك أيضًا .

استدار (نور) بدوره إلى (فارس) ، وسأله في اهتمام :

— متى عدت ؟

أجابه (فارس) مبتسمًا :

— الآن فقط أيها القائد .. ولقد أديت عملي بنجاح ساحق .. لقد اتصلت بكل من تبقَّى حيًّا من رجال السرب السعودي ، وضمنت تعاون أحد عشر نسرًا ، في لعبة الليلة .

تمتمت (سلوى) في استهجان :

— لعبة ؟!

ابتسم (نور) وهو يقول :

ـــ نعم يا عزيزتى .. لعبة .. لعبة الموت .

* * *

انعقد حاجبا (كوماد) فى شدة ، وهو يقول لنائب القائد الأعلى فى حنق :

ـــ هلا أعدت ما قلته مرة أخرى أيها الأرضى ؟

ابتسم نائب القائد الأعلى ابتسامة واهنة شاحبة، وهو يقول:

ـــ على الرحب والسعة .. قلت لك إن كل ما أعلمه عن مخبأ (نور) هو أنه أحد المخابئ التى أعدتها المخابرات العلمية المصرية قديمًا ، لمقاومة وصد أى غزو فضائى محتمل ، ولكننى لا أعلم أين هذه المخابئ ، ولا كيفية التوصل إليها .

صاح (كوماد) فى غضب :

ـــ أنت كاذب .

هز نائب القائد الأعلى رأسه نفيًا فى هدوء ، وقال :

ـــ كلا .. لقد أحطنا مشروع هذه المخابئ بسرية مطلقة ، بحيث يستحيل كشف مواقعها ، أيا كانت الأسباب ، وهذا عن طريق تعريض طاقم العاملين فيها لنوع من التنويم المغناطيسى الإليكترونى المتطور ، وإخضاعهم لغسيل عقل تكنولوجى ،

بحيث ينسى كل منهم كل ما لديه عنها ، فور انتهاء عمله فيها ، ويبقى فى النهاية رجلان فقط ، فى العالم أجمع ، يعرفان السر ، دون وثائق محفوظة ، أو خرائط مسجلة ، وهما الدكتور (عبد المنعم) ، وأنا .. ولقد تعرضنا أيضًا لتلك الاختبارات ، بحيث انمحت كل المعلومات من ذاكرتينا تلقائيًا ، فور بلوغ (نور) ورفاقه المخبأ ، وهكذا لن تجد فى عقلينا أية معلومات، مهما فعلت، حتى ولو مزقت جسدينا إربًا .

بدت المرارة فى وجه (كوماد) لحظات ، ثم قال فى حدة :

ـــ ولكن هذا مستحيل !.. لا يمكن تكتيكيًا أن تمحو كل المعلومات من الأذهان إلى الأبد .. لابد من وجود خطة بديلة حتمًا ، أو شخص احتياطى ، يعلم كل التفاصيل ، دون أن يدرى هو نفسه .

هز نائب القائد الأعلى كتفيه ، قائلاً :

ـــ ربما .. إننى لم أعد أذكر شيئًا .

رمقه (كوماد) بنظرة قاسية ، وهو يقول :

ـــ سيكون هذا من سوء حظك ، فلو أنك لا تذكر شيئًا ، فسيكون من المحتم أن أعيدك ورفيقك إلى هناك ..

وصمت لحظة ، ثم أردف فى حدة :

ـــ إلى الجحيم .

* * *



وفجأة ، التقت إحدى دوريّات الغزاة بأخرى .. وكانت مفاجأة حقيقية ..

كان ذلك فى السابعة تمامًا ..

قبل موعد حظر التجوال بساعة واحدة ..

والشمس تميل للمغيب ..

بل لقد غابت بالفعل ، مخلّفة شفقًا متلوّنًا رائع الجمال ..

وكانت دوريات الغزاة تجوب الشوارع والطرقات كالمعتاد ..

وفجأة ، التقت إحدى دوريّات الغزاة بأخرى ..

وكانت مفاجأة حقيقية ..

لم يكن من الممكن أن يحدث هذا أبدًا ، حيث يقوم الكمبيوتر بتوزيع المهام فى دقّة بالغة ، وبأسلوب لا يحتمل الجدل أو النقاش ..

وهتف قائد الدورية الأولى فى حِدّة :

ــ كيف يحدث هذا ؟.. من الخطإ أن ......

بتر عبارته بغتة ، وشحُب وجهه الأخضر ، واستحال إلى لون فستقىّ باهت ، عندما لمح قائده على رأس الدوريّة الثانية ، فاعتدل فى حركة حادّة ، ورفع قبضته أمام وجهه ، هاتفًا :

ــ المجد للإمبراطور (آغرو) .

رفع (كوماد) قبضته أمام وجهه ، قائلًا فى حزم :

ــ المجد له .

أدهشت العبارة قائد الدوريّة ، حيث اعتاد الجميع أن يخالف قائدهم التحية التقليدية ، مقصرًا المجد على كوكبهم (جلوريال) وحده ، من دون إمبراطوره ، فعقد حاجبيه ، وهو يدير بصره فى وجه (كوماد) ، ووجوه الرجال الستة المصاحبين له ، قبل أن يقول فى توتُّر :

— معذرة يا سيِّدى .. ولكن الأوامر الإمبراطورية تقتضى أن .....

قاطعه (كوماد) فى صرامة :

— أعلم أيها القائد .. أعلم ، ولكننى أبدلت القواعد ، وسأتولَّى مع فريقى الخاص مهمَّة حماية هذه المنطقة .

ازداد الشك فى أعماق قائد الدوريّة ، وقال فى حِدَّة :

— معذرة أيها القائد .. هذه المنطقة تحوى إحدى القواعد الورديَّة ، ولابدَّ من الرجوع إلى مولاى الإمبراطور أوَّلًا ، قبل إجراء أيَّة تعديلات فى خطط الحراسة ، فى مثل هذه المناطق .

صاح (كوماد) فى صرامة :

— هل تجرؤ .....

قاطعه قائد الدوريّة فى حِدَّة :

— إنها الأوامر الإمبراطورية أيها القائد ، ولا أحد يجرؤ على مخالفتها .

ران الصمت لحظة ، والاثنان يتبادلان نظرات التحدِّى ، ثم قال (كوماد) فى برود :

— للأسف .. أنت لم تترك لنا الخيار بقرارك هذا

ولم يكد يتم عبارته ، حتى ارتفعت فوَّهات بنادق رجاله نحو الدوريَّة الأخرى ، وهتف قائدها فى ذُعْر :

— خيانة .. إنهم .....

ولكنه لم يتم عبارته أبدًا ، فقد حصدته الأشعة الأرجوانية مع رجاله حصدًا ، وفى ثوانٍ معدودة ، ساد بعدها صمت ثقيل ، قبل أن يقول (نور) ، من خلف قناع (كوماد) :

— يا لبشاعة الحروب !

ربَّت (فارس) على كتفه ، قائلًا :

— إنه قدرنا .

ثم أشار إلى أشلاء الغزاة ، مستطردًا :

— المهم هو هل سنجد بطاقاتهم الأمنية سليمة ؟

واندفع نحو أحدهم ، وراح يفتش ما تبقَّى منه فى سرعة ، وهو يغالب اشمئزازه وتوتُّره ، حتى انتزع منه بطاقة صغيرة للغاية ، وهتف :

— ها هى ذى .

تنهّد (نور) في ارتياح ، وقال :

ـ حمدًا لله .

ثم ألقى نظرة على ساعته ، واستطرد في سرعة :

ـ بقيت أمامنا نصف الساعة فحسب .. فإمّا أن ننجح في الدخول إلى القبّة الورديّة قبلها ، أو .....

صمت لحظة ، ثم أردف في توتر :

ـ أو تحصدنا عيون الحراسة حصدًا ..

* * *



٥ ـ الصّراع ..

أقلعت حوّامة صغيرة خاصّة ، من مقرّ (كوماد) ، وعلى متنها نائب القائد الأعلى والدكتور (عبد المنعم) ، وقد تهالكا تمامًا ، وغمغم الأوّل في انبهار :

ـ إلى أين تحملنا تلك الحوّامة ؟

أجابه الثاني في صوت متهالك :

ـ إلى الجحيم بلا شك .

حاول الأوّل أن يبتسم ، وهو يتمتم :

ـ لست أجد فارقًا في الحالين ، فهنا جحيم آخر .

تمتم الثاني :

ـ ولكننا لا نصنعه بأيدينا .

ران عليهما الصمت لحظة ، ثم قال الأوّل :

ـ ولكن لماذا يسعى إمبراطور هؤلاء الأوغاد لصنع جحيم على كوكبنا .

أجابه الثاني :

ـــ ربما تفيدهم تلك الحُمَم .

سأله الأوّل :

ـــ أتظنهم يستخدمونها لتوليد طاقة ما ؟

هزّ الثانى رأسه ، متمتمًا :

ـــ لست أظن هذا هو السبب ، فلقد امتصّت أطباقهم الهائلة كميات رهيبة من الطاقة ، بعد أن فجّروا كل مفاعلاتنا الذرّية ، منذ عام كامل .. أتذكر هذا ؟

تنهّد الأوّل ، متمتمًا :

ـــ وكيف أنساه ؟ لقد كان بداية الانهيار .

هزّ الدكتور (عبد المنعم) رأسه ، وقال :

ـــ لَتُرى ، هل يمكننا استرجاع تلك الحضارة يومًا ؟

أجابه قائده :

ـــ ربّما .. لو تخلّصنا من هذا الاحتلال .

هتف فى مرارة :

ـــ متى ؟.. متى ؟

ابتسم نائب القائد الأعلى ابتسامة باهتة الشحوب ، وهو يقول :

ـــ لست أظننا سننتظر طويلًا ، ما دامت هناك مقاومة ، وما دام هناك رجل على رأسها يُدْعى (نور) .. فارس الأرض الأخير ..

* * *

توقّفت دَوْريّة المقاومة الزائفة ، التى تحمل وجوه الغزاة وصُوَرهم ، أمام تلك القُبّة الورديّة الهائلة ، وعمل الكمبيوتر الخاص ، فى خوذة (نور) الشفّافة ، على ترجمة صوته ولغته إلى صوت (كوماد) ولغة (جلوريال) ، وهو يقول بنفس اللهجة الصارمة :

ـــ افتحوا الأبواب بأمر القائد العام .

مضت لحظات من الصمت ، ثم تألّقت بقعة حمراء فى ركن من أركان القُبّة ، وسقط منها خيط من أشعة ورديّة على وجه (نور) ، الذى يختفى تحت قناع خاص ، يطابق وجه (كوماد) تمامًا وراح الشعاع يفحصه لحظات ، قبل أن يتوقّف ، ويرتفع صوت معدنى يقول :

ـــ ما أسباب الزيارة ؟

أجابه (نور) فى حزم :

ـــ تفتيش عام .

ران الصمت لحظات ، ثم ارتفع الصوت الآلىّ يقول :

— على الرُّحب والسَّعة أيها القائد العام .

وإثر العبارة ، ارتفع أزيز آلىّ ، وتحرّك جزء من جدار القبّة فى هدوء ، مخلّفًا فجوة تسمح بمرور طوّافة الدوريّة ..

وهنا تنهّد (نور) ، وتمتم فى صوت شديد الخفوت :

— لقد نجح هذا الجزء من الخطّة .

وانطلق بالحوّامة نحو النصر ..

أو الجحيم ..

* * *

استقبل قائد القبة (نور) ورفاقه بابتسامة عريضة ، وهو يقول فى هدوء :

— مرحبًا أيها القائد العام .. إنه لمن النادر أن تشرّفنا بزيارتك .

أجابه (نور) فى صرامة :

— لقد ازدادت أعمال المقاومة ، وأصبح من الضرورى مراجعة الأمور من وقت إلى آخر .

رفع (الجلوريالى) حاجبيه ، مغمغمًا :

— هكذا ؟!

قالها فى لهجة لم تَرُق لـ (نور) ورفاقه أبدًا ، إلا أن (نور) قال فى حزم :

— نعم .. هكذا .

اعتدل القائد (الجلوريالى) ، وهو يسأل (نور) فى اهتمام :

— ماذا تحب أن تتفقّد أيها القائد ؟

سأله (نور) فى لهجة توحى باللامبالاة :

— هل انطلقت عيون الحراسة ؟

ابتسم القائد (الجلوريالى) ، وهو يقول :

— ليس بعد ، فسيحين حظر التجوال بعد عشر دقائق ، من زمن الأرض .

قال (نور) فى حزم :

— حسنًا .. فلنفحص عيون الحراسة أوّلًا .

رفع (الجلوريالى) حاجبيه ، وهو يقول :

— وماذا بعد ؟

أجابه (نور) فى صرامة :

— وبعدها نتجه إلى المقاتلات لفحصها .. هل تمانع ؟

ابتسم (الجلوريالى) ، قائلًا :

— ومن يجرؤ على اعتراض أوامر القائد العام ؟

ثم أشار إلى باب جانبي ، قائلاً :

ـ تفضل يا سيدي القائد .. صدقني .. إن نظامنا سيدهشك .. سيدهشك حتمًا ..

وعندما ابتسم هذه المرة كانت ابتسامته مخيفة .. مخيفة تمامًا ..

* * *

جلس الحكيم (جلاكس) في حجرته حائرًا متوترًا ..

لم يكن مايحدث يروق له ..

لم يكن يبدو منطقيًا ..

كل شيء كان يدور على نحو عجيب ..

وخاصة بالنسبة إليه ..

إنه أكبر مخلوقات (جلوريال) سنًا ، فهو من سلالة خاصة نادرة ، سادت ذلك الكوكب يومًا ، عندما كانت الكلمة الأولى فيه للعقل والحكمة ..

ثم ظهرت سلالة (آغرو) المحاربة ..

وانقلب تاريخ الكوكب ..

لقد عجزت سلالة (جلاكس) عن التصدي لتلك السلالة المحاربة ، التي اتخذت من القوة وسيلة للحوار ، ومن البأس لغة للنقاش ..

وانهار العقل أمام القوة ..

انهار لأنه لم يستعد لمثل هذا اليوم ، ولم يتخذ أهبة له أبدًا .

ولقد عاصر (جلاكس) هذا العهد ..

عاصر انهيار إمبراطورية العقل ، ونشأة إمبراطورية القوة ..

وعلى الرغم من انتصار السلالة المحاربة ، إلا أنها أدركت أهمية العقل إلى جوار القوة ، فاتخذت من سلالة الحكماء مستشارين لعروشهم ، ودرعًا لإمبراطوريتهم ..

ولقد أصبح (جلاكس) مستشارًا للإمبراطورية ، منذ عهد والد (آغرو) ، وهو الذي تولى تربية (آغرو) وإعداده للإمبراطورية ..

وفي عهد (آغرو) غزا كوكب (أرغوران) (جلوريال) ، وهزمه ، واحتله ، وأبقى (آغرو) إمبراطورًا ناطقًا باسمه ..

ثم ذهبت سطوة (أرغوران) ، وحان دور (جلوريال) لينطلق ، ويستعيد زمام المبادرة ، وروح القيادة ، ويحتل (أرغوران) ..

ثم بدأت تلك الأحداث العجيبة ..

فجأة ، تبدلت شخصية الإمبراطور ..

وفجأة ، صار كل حلمه هو أن يهاجم الأرض .. وأن يقضى على ذلك الأرضىّ (نور) ..

لم تكن لذلك سابقة فى تاريخ (جلوريال) كله ..

ولا فى شخصية الإمبراطور نفسه ..

وهذا ما يثير حَيْرة (جلاكس) وتوتّره ..

إنه يؤمن — بما لا يدع مجالاً للشك — بوجود عامل عجيب خلف كل هذا ..

وهو لم يفهم أبدًا سِرّ ذلك الجحيم ، الذى يصفه الإمبراطور فى كوكب الأرض ، وبأيدى البشر ..

لم يفهم أبدًا ..

وهبّ (جلاكس) من مجلسه ..

لم يكن يحتمل الحَيْرة ..

كان لابدّ له من أن يعلم ..

لقد خُلق ليفكّر ..

وليعلم ..

وفى حزم ، اتجه نحو قاعة الإمبراطور ، ولكن الحارس الخاصّ للإمبراطور اعترضه ، قائلاً فى خشونة :

— غير مسموح بمقاطعة الإمبراطور الآن .

عقد (جلاكس) حاجبيه فى غضب ، قائلاً :

— وَيْحك يا رجل .. كيف تجرؤ على اعتراضى ؟.. إننى حكيم الإمبراطورية ، والمستشار الخاصّ للإمبراطور .

عاد الحارس يكرّر فى جِدّة :

— غير مسموح بمقاطعة الإمبراطور ، مهما كان السبب .

هتف (جلاكس) غاضبًا :

— أيجتمع بأحد فى الداخل ؟

هزّ الحارس رأسه ، قائلاً :

— كلاّ .. إنه وحده .

هتف (جلاكس) فى دهشة :

— ما الذى يمنع التقائى به إذن ؟..

أجابه الحارس فى خشونة :

— إنها أوامر الإمبراطور .

صمت (جلاكس) لحظات ، ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة هادئة ، وهو يقول :

— سمعًا وطاعة للإمبراطور .

ودار على عقبيه ، وابتعد فى هدوء ..



عقد (جلاكس) حاجبيه فى غضب ، قائلاً ..

ـــ ويحك يا رجل .. كيف تجرؤ على اعتراضى .. إننى حكيم الإمبراطورية ..

ولكنه لم يبتعد كثيرًا ..

لقد تراجع ليتجه إلى مدخل سرّىّ للقاعة ، لايعرفه سواه ، وسوى الإمبراطور ..

لقد أثار الحارس مزيدًا من فضوله ، وفجّر أقصى طاقات تفكيره وقلقه وحَيْرته ..

وهو خُلِق ليعلم ..

وسيعلم ..

سيعلم ما الذى يفعله إمبراطوره وحده ؟

سيعلم مهما كان الثمن ..

* * *

أشار قائد القبّة (الجلوريالى) إلى عدد من عيون الحراسة ، داخل صندوق زجاجىّ صغير ، وهو يقول :

ـــ هذه هى عيون الحراسة الوحيدة ، التى يمكنك تفقّدها يا سيّدى ، فالأخرى تستعد الآن لبدء عملها .

أشار (نور) إلى إحدى العيون ، قائلاً فى اهتمام :

ـــ أهذه صالحة للعمل ؟

ابتسم الغازى ابتسامة مرعبة ، وهو يجيب :

ـــ بالطبع .

ثم أشار إلى زرٍّ صغيرٍ فى مؤخرة العين الكروية ، مستطردًا فى خبث :

— ولكن ينبغى ضغط هذا الزرّ أوّلًا .

أجابه (نور) فى صرامة :

— أعلم ذلك .. سألتك فقط ما إذا كانت مبرمجة للعمل أم لا ؟

تمتم الغازى فى لهجة غامضة :

— بالطبع .

التفت (نور) إلى (فارس) ، قائلًا فى حزم :

— خذ إحداها .

اتجه (فارس) نحو الصندوق الزجاجىّ ، ولكن القائد (الجلوريالى) استوقفه ، قائلًا بابتسامة غامضة :

— ليس الآن .

بدا لحظة أنه سيكتفى بذلك القول ، إلا أنه لم يلبث أن استدرك ، وهو يحمل على شفتيه ابتسامة أنيقة :

— فلنترك ذلك لما بعد تفقُّد المقاتلات .

ودَّ (نور) لو أنه رفض ذلك ، إلا أنه خشى إثارة ريبة الرجل برفضه ، فأومأ برأسه ، مغمغمًا :

— لا بأس .. دَعْها لما بعد .

ترك (فارس) العين ، وتراجع فى ضيق ، فى حين قال (نور) للغازى :

— هيّا نتفقَّد المقاتلات .

تطلَّع الغازى إلى ساعته ، التى تشبه كرة تنس طاولة لامعة ، قبل أن ترتسم على شفتيه ابتسامة واسعة ، ويقول :

— لا بأس يا سيِّدى .. الآن انطلقت عيون الحراسة .

ثم اتجه فى حركة سريعة نحو باب جانبى ، مستطردًا فى لهجة أشبه بالجَذَل :

— وحانت اللحظة الحاسمة .

وبضغطة زرٍّ سريعة ، انزاح الباب الجانبى ، وظهر من خلفه آخر شخص يتوقَّعه (نور) ورفاقه ..

(كوماد) ..

* * *

٦ — إمبراطور الجحيم ..

توقّف (رمزى) عن الحفر بغتة ، داخل ذلك الجحيم الرهيب ، على عمق مائتى متر من سطح الأرض ، ومسح العرق الغزير المنصبّ على وجهه ، وهو يشير إلى نقطة بعيدة ، هاتفًا :

— يا إلهى !!.. انظر يا دكتور (حجازى) .. انظر .

هتف الدكتور (حجازى) فى توتُّر ، وهو يتوقّف عن العمل بدوْره :

— ماذا هناك ؟.. هل أسَرُوا (نور) ؟

أمسك (رمزى) كتفه ، قائلًا فى انفعال :

— ليس بعد والحمد لله ، ولكنهم أحضروا أسيرين ، أدهشنى تعرُّفى إياهما .

دقّق الدكتور (حجازى) النظر فى وجه الأسيرين العائدين ، ثم تمتم فى انفعال مماثل :

— يا إلهى !!.. لقد نحلا كثيرًا ، ولكننى تعرّفتهما .. إنهما نائب القائد الأعلى ، والدكتور (عبد المنعم) .. ربّاه !! لقد تصوّرت أنهما قد لقيا حتفيهما مع بداية الغزو .

هتف (رمزى) فى حماس :

— من حُسن الحظ أن هذا لم يحدث .

مطَّ الدكتور (حجازى) شفتيه ، وهو يقول :

— من حُسن الحظ !!.. من يدرى يا (رمزى) ؟.. مَنْ يدرى أيهما الحظ الحسَن ، أن نبقى فى هذا الجحيم ، أم نموت ؟

أجابه (رمزى) فى حماس :

— بل أن نبقى يا سيّدى .. فالبقاء يَعْنى الأمل .. والأمل هو الحياة .

التفت إليه الدكتور (حجازى) فى دهشة ، وغمغم :

— ما أعجبه من قول !!

قال (رمزى) ، وهو يبتسم :

— هذا منطق عدم الاستسلام يا دكتور (حجازى) .. أتعلم ما الذى يَعْنيه وجودنا معًا فى هذا الجحيم ، مع نائب القائد الأعلى والدكتور (عبد المنعم) ؟

أراد الدكتور (حجازى) أن يسأله فى دهشة عما يَعْنيه ذلك ، إلا أن أحد الغزاة لاحظ توقّفهما عن العمل ، فاتجه نحوهما فى حركة حادّة ، وهَوَى بكعب بندقيته على ظهر (رمزى) فى قوة ، صائحًا فى خشونة :

— اعملا .. واصلا الحفر .

دفعت الضربة (رمزى) ، وألقته أرضًا ، إلا أنه نهض فى هدوء ، وتحسّس موضع الألم ، ثم عاد يعمل ، وتبعه الدكتور (حجازى) على الفور ، وران الصمت إلا من صوت ضربات فأسيهما ، حتى ابتعد الحارس ، فهتف الدكتور (حجازى) فى انفعال ، وبصوت شديد الخُفُوت :

— حسنًا يا (رمزى) ، ما الذى يَعْنيه هذا ؟

ابتسم (رمزى) فى خُبْث ، وهو يقول :

— يَعْنى حدوث انقلاب .. انقلاب فى قلب الجحيم ..

* * *

تسلل الحكيم (جلاكس) عَبْرَ الباب السِّرّىّ للقاعة الإمبراطورية ، ودلف عَبْرَ ممر طويل إلى القاعة ، حيث اعترضه باب سِرّىّ آخر ، فضغط زرًّا جانبيًّا فيه ، وهو يتمتم فى فُضُول شديد :

— تُرى ما الذى يفعله الإمبراطور وحده فى القاعة ؟.. إنه لم يفعل هذا أبدًا ، حتى عندما كان طفلاً صغيرًا .

تحرّك الباب السِّرّىّ فى خُفُوت ، كاشفًا فجوة صغيرة ، اختلس الحكيم النظر عَبْرَها فى اهتمام وشغف ..

ولكنه لم يَرَ شيئًا ..

أو رأى ما لا يُرى ..

كل ما رآه هو انعكاس لوهج متألق ، يأتى من الناحية المقابلة للعرش الإمبراطورىّ ..

وكان الوهج أشبه بلهب يستعر ..

والتهب الفُضُول فى أعماق الحكيم ..

لم يكن من موقعه هذا يستطيع رؤية الإمبراطور ، أو مصدر الوهج ؛ لذا فقد دفع الباب السِّرّىّ ، وخاطر بعبوره إلى القاعة ، على الرغم من أوامر الإمبراطور ..

أو هو فعل ذلك فى غمرة شروده ، ولهفته على معرفة الحقيقة ..

وفى نفس اللحظة التى عَبَرَ فيها إلى داخل القاعة ، كان الإمبراطور (آغرو) يهتف بعبارة غريبة ..

عبارة ليس لها مثيل فى لغة (جلوريال) ..

وربّما فى كل لغات العالم ..

عبارة مخيفة ..

رهيبة ..

وارتعدت فرائص الحكيم (جلاكس) من هول الموقف ..

وجحظت عيناه رعبًا ..

كان مايراه ويسمعه هائلًا ..

كان كما لو أنه قد خطا بقدميه إلى الجحيم ..

وشهق الحكيم ..

وإثر شهقته التفت إليه إمبراطوره ..

وتراجع الحكيم فى رُعب رهيب ، وارتطم بالباب السِّرّى ، فأغلقه خلفه ، والتصق به فى هلع ، وهو يحدِّق فى إمبراطوره ..

وكاد يقسم إنه ليس الإمبراطور الذى ربَّاه ..

صحيح أنه يمتلك نفس الملامح ..

نفس البشرة الخضراء ..

نفس العينين الحمراوين بلون الدم ..

نفس التاج اللامع الشفَّاف فوق رأسه ..

ولكنه لم يكن هو ..

كان شخصًا آخر ..

أو بمعنى أدق كان شيئًا آخر ..

شيئًا رهيبًا ..

مخيفًا ..

مهولًا ..

وتركَّزت عينا ذلك الشىء على الحكيم ، وانبعث من شفتيه صوت أشبه بفَوَران حُمَم براكين العالم كله ، وهو يهتف فى غضب :

ـ أنت ؟!

ازداد التصاق الحكيم بالباب ، وهو يهتف فى رُعب هائل :

ـ إنك لست الإمبراطور .. لست هو ..

برقت عينا الإمبراطور كالدماء المشتعلة ، وهو يقول فى هياج :

ـ من أنا إذن أيها الأحمق .

ثم اتجه فى بطء نحو العجوز ، الذى أصابه شلل عجيب ، جمَّده فى مكانه ، وهو يهتف :

ـ لست أدرى .. ولكنك لست هو .. لست هو حتمًا .

أصبح الإمبراطور الآن على قيد خطوة واحدة منه ، وبدا صوته مرعبًا رهيبًا ، وهو يقول :

ـ إذن فهذا رأيك .

كاد الحكيم يبكى ، وهو يهتف :

ـ من أنت ؟.. من أنت بحق آلهة (جلوريال) ؟



وفى بطء رفع الإمبراطور كفَّيه ، وجحظت عينا الحكيم فى رُعب هائل ،
عندما رأى تِلكَ الكُرَتين فيهما ..

ارتسمت على شفتى الإمبراطور ابتسامة جهنمية رهيبة ، وهو يقول :

ــ لن تعلم أيها الغبىّ .. لن تعلم أبدًا .

وفى بطء رفع الإمبراطور كفَّيه ، وجحظت عينا الحكيم فى رُعب هائل ، عندما رأى تِلكَ الكُرَتين فيهما ، وصرخ فى ارتياع :

ــ لا .. لا ..

وانطلقت من الكُرَتين أشعة زرقاء مضيئة ، أحاطت بالحكيم ، الذى أطلق صرخة مروِّعة ، وراح جسده يرتجف فى قوّة هائلة ، وينتفض فى ألم ، ثم تجمّد ، وتوقّف ..

وسقط ..

سقط جثة هامدة ، تحت قدمى الإمبراطور ..

أو قدمى هذا الشىء ..

هذا الشىء الجهنمى ..

* * *

كانت المواجهة مُذهلة حقًّا ..

لم يكن (نور) ورفاقه يتصوَّرون أبدًا رؤية (كوماد) بالذات ، فى هذا المكان ، ولقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة ظفر هائلة ، وهو ينقّل بصره بين الوجوه ، قبل أن تستقر عيناه الدمويّتان على وجه (نور) ، ويقول فى انفعال :

— مرحبًا أيها الرائد الأرضىّ .. من الطريف أن نلتقى هنا .. فى أرضى .

لم ينبس (نور) ورفاقه ببنت شفَة ..

كانت المفاجأة ، بالنسبة إليهم ، حقًا مذهلة ..

وكانت سعادة (كوماد) بذهولهم عارمة ، وهو يستطرد :

— إنجاز رائع يا رجال المقاومة الأرضية .. هذا القناع الذى ترتديه يشبهنى بدقة بالغة ، حتى أنه قادر على خداع أى مخلوق من شعبنا أو شعبكم .

وتراقصت ابتسامته ، قبل أن يستدرك فى سرعة :

— فيما عداى بالطبع ..

ثم أطلق ضحكة قصيرة ساخرة ، مُفعَمة بالانفعالات ، قبل أن يضيف فى زهو :

— لقد أخطأت فى اختيار توقيت تنفيذ خطتك أيها الأرضى ، فلست وحدك تفكّر وتخطط وتدبّر .. نحن أيضًا عندنا علماؤنا وتفكيرنا .. لقد تركت خلفك ، فى المعركة السابقة رجلًا أو رجلين يرتديان هذه الأقنعة المتقنة ، وعلى الفور قمنا بدراستها .. وأصدقك القول إنها قد أعجبتنا كثيرًا .. صحيح أنها بدائية الصنع ، ولكن لا بأس بها بالنسبة لفريق مقاومة صغير ، نشأ من شعب متخلّف مثلكم .. ولكن

صنعكم له أقلقنا ، فابتكرنا نوعًا خاصًا من الأشعة الكاشفة ، يمكنه رؤية ما يختفى أسفل هذه الأقنعة ، وعندما وصلت أنت إلى هنا ، على رأس فريقك الصغير هذا ، سقط هذا الشعاع الوردىّ على وجهك ، وفضح تنكُّرك ..

شعر (نور) بحنَق هائل فى أعماقه ، عند هذه النقطة ، وهو يسترجع لحظة سقوط الأشعة الورديّة على وجهه ، وتصوُّره أنها نوع من الأشعة الفاحصة للملامح ، دون أن يخطر بباله أنها أشعة كاشفة خاصّة .

وحمد الله على أن ذلك القناع ، الذى يحمل ملامح (كوماد) ، يُخفى وجهه ، حتى لا يبدو حنقه واضحًا لخصمه ، الذى استطرد بنفس الزّهو ونفس الخُيَلاء :

— كان من الممكن أن يقتلك الجنود هنا ، فور كشف أمرك ، ولكن أوامرى كانت تقتضى ضرورة إبلاغى أوّلًا ، قبل اتخاذ أيّة خطوة حاسمة فى هذا الشأن ، لذا فقد أبلغونى بوسيلة اتصال مباشرة ، فائقة السرعة ، جعلتنى أهرع إلى هنا ، فى حين سمحوا هم لك ولرفاقك بالدخول ، بحيث أطبق عليكم الفخ تمامًا ، وانتظرنا حتى انطلقت عيون الحراسة ، ثم ظهرت أنا ، لأعلِنَ لك وهم أن اللُّعبة قد انتهت .

وانتصبت هامتة ، وهو يستطرد فى فخر :

ــ انتهت لصالحنا .

رانَ الصمت لحظات ، ثم قال (نور) فى هدوء :

ــ أيعنى هذا أنك ستلقى القبض علينا ؟

لوّح (كوماد) بذراعه هاتفًا :

ــ كخطوة مؤقتة ، حتى يتم إعدامك أمام شعوب الأرض كلها .

هزّ (نور) كتفيه ، ورفع كفّه ، قائلًا فى هدوء عجيب :

ــ إذن فأنت لم تترك لنا الخيار .

وفجأة ، خفض كفّه ، ورفع فوّهة بندقيته ، فى حين هتف (فارس) فى حماس :

ــ جملتك لن تنطقها أبدًا .

وانطلقت خيوط الأشعة الأرجوانية الساحقة ..

* * *

٧ ــ الانقــلاب ..

جَفَلَ نائب القائد الأعلى ، عندما مسّ (رمزى) كتفه فى رفق ، وسط ذلك الجحيم الأرضى ، ثم لم يلبث أن تبيّن وجه هذا الأخير ، فاجتاحته فرحة عارمة ، وهو يهتف :

ــ (رمزى) ؟!.. يا إلهى !!.. يالها من مفاجأة !

ابتسم (رمزى) وهو يربّت على كتفه ، مغمغمًا :

ــ ويا له من مكان !!

أسرع إليهما الدكتور (عبد المنعم) ، وهو يهتف :

ــ يالها من مفاجأة يا (رمزى) !.. كيف بلغت هذا الجحيم ؟

أجابه (رمزى) ، وهو يشير إلى الدكتور (حجازى) ، الذى راح يقترب فى حذر :

ــ لقد أرسلنا ذلك الوغد (كوماد) إلى هنا ، منذ ثلاثة أو أربعة أيام ، وإن بدا لنا ذلك وكأنه قد حدث منذ قرون .

زفر نائب القائد الأعلى ، وهو يقول :

— أنت على حق ، لقد أمضيت أنا والدكتور (عبد المنعم) عامًا هنا ، فخيّل إلينا أننا هنا منذ مولدنا .

بلغهم الدكتور (حجازى) فى هذه اللحظة ، وهتف فى خفوت ، وهو يختلس النظر إلى رجال الحراسة فى قلق :

— مرحبًا أيها السادة .. لقد نحلت كثيرًا يا سيّدى القائد ، وأنت كذلك يا دكتور (عبد المنعم) .

تأمله الدكتور (عبد المنعم) لحظة ، قبل أن يقول بابتسامة شاحبة :

— من الواضح أنك لم تقض هنا وقتًا كافيًا ، فما زلت تحتفظ ببدانتك .

أجاب (رمزى) هامسًا فى حزم :

— لو سارت خطتى على ما يرام ، فسنستعيد كلنا وزننا ، فى ظل الحرية يا سيّدى .

التفت إليه الجميع فى دهشة ، وقال نائب القائد الأعلى فى انفعال :

— أية خطة هذه يا (رمزى) ؟.. وما هدفها ؟

أجابه (رمزى) :

— هدفها هو أن نغادر هذا الجحيم اللعين يا سيّدى .

لم يستطع الدكتور (حجازى) كتمان لهفته ، فهتف .

— كيف ؟!

ثم لاحظ أن صوته جاء مرتفعًا أكثر من اللازم ، فانكمش فى موضعه فى خوف ، وهو يختلس النظر إلى رجال الحراسة العشرة ، الذين يحملون بنادق الأشعة الأرجوانية الساحقة ، قبل أن يستطرد فى صوت شديد الخفُوت :

— كيف سنغادر هذا الجحيم ؟

ابتسم (رمزى) ، وهو يقول :

— هذا يتوقّف على قدرات الجسد البشرىّ ، ومدى استجابتها للتنويم المغناطيسى يا سيّدى .

هتف القائد الأعلى :

— هذا يبدو لى مُبهمًا حتى الآن .

ازدرد (رمزى) لعابه فى صوت مسموع ، ثم قال :

— اسمعونى جيّدًا .. أنتم تعلمون أننى خبير بالتنويم المغناطيسى ، وهذا المكان — على الرغم من ضخامته — يحوى عشرة حرّاس فحسب ، لأن الغزاة لا يتوقّعون مقاومة ، من رجال أهلكهم التعب ، وامتصّ الهزال قوّتهم وإرادتهم ، والواقع أن هذا مستحيل بالفعل ، ما لم يبرز رجال خارقون بغتة ، من وسط الأسرى .

هتف الدكتور (عبد المنعم) :

ــ وأين تجد مثل هؤلاء ؟

صمت (رمزى) لحظة ، ثم قال :

ــ أظن أنه لدينا ثلاثة .

عقد نائب القائد الأعلى حاجبيه ، وهو يقول فى حذر :

ــ أين هم ؟

حاول (رمزى) أن يبتسم ، ليخفف من وقع كلماته ، وهو يجيب :

ــ أنتم .

حدّق الثلاثة فى وجهه فى ذهول واستنكار ، كما لو كانوا يحدقون فى وجه مجنون ، قبل أن يهتف الدكتور (عبد المنعم) فى حِدّة :

ــ أى هُرَاء هذا ؟

أسرع (رمزى) يقول :

ــ اسمعونى أوّلًا .. لقد أثبتت دراساتى الطويلة للجسم البشرى أنه يحوى قُدرات غير محدودة ، تظهر كلها فى حالة الخطر ، فيزداد إفراز الأدرينالين ، ويكتسب الجسم قُدرات (السوبرمان) .

أجابه الدكتور (حجازى) فى قلق :

ــ هذا صحيح يا (رمزى) ، ولكن هذا يحدث فى حالة الخطر فحسب .

أومأ (رمزى) برأسه إيجابًا ، وقال :

ــ أعلم ذلك ، ولقد سُجّلت حالة لأم ، سقطت شجرة ضخمة على ساق ابنها ، فأسرعت دون أن تدرى ، ورفعت الشجرة عنه فى خِضَمّ ذُعرها ، وبعد أن ألقتها جانبًا ، وأنقذت ابنها ، أدهشها أن تعلم أن وزن الشجرة يبلغ نصف الطن تقريبًا(*) ، ولقد قرّر العلماء أنها قد فعلت هذا بسبب خوفها ، الذى ضاعف إفراز الأدرينالين فى جسدها عشرات المرّات ، وجعل عضلاتها أقوى من عضلات عشرة رجال .

قال نائب القائد الأعلى ، وقد احتواه الأمر تمامًا :

ــ وكيف يمكنك أن تجعلنا نشعر بالخطر ؟

تردّد (رمزى) لحظة ، ثم أجاب :

ــ بالتنويم المغناطيسى .

(*) حادثة حقيقية .. وهناك عشرات الحوادث الأخرى المسجّلة فى هذا المجال ، ويمكن الرجوع إليها فى موسوعة (جينز) القياسية .

رَانَ على أربعتهم الصمت لحظات ، ثم قال الدكتور (حجازى) :

— ولكن هذا يبدو لى مستحيلًا يا (رمزى) ، فالتنويم المغناطيسى قد يجعلنا نسترجع ذكريات مولدنا ، أو نشعر بالبرودة فى هذا الجحيم ، بدلًا من ذلك القَيْظ ، ولكن كيف يمكنه أن يدفع غددنا فوق الكلوية إلى إفراز المزيد من الأدرينالين ؟

مطَّ (رمزى) شفتيه ، وقال :

— إننى لم أختبر هذا من قبل ، ولكنه نجح مسبقًا فى دفع غدد إفراز العصارة المعدية إلى الإقلال من إفرازاتها ، فى بعض مَرْضَى قرحة المعدة ، الذين تعرَّضوا لمثل هذا العلاج ، ولست أظنه يخالف هذه القاعدة ، عندما توجَّه الأمر إلى الغدد فوق الكلوية .

رَان الصمت عليهم مرَّة أخرى ، وعادوا يتبادلون نظرات القلق ، ثم غمغم الدكتور (حجازى) :

— وماذا سنفعل بالضبط ؟

لوَّح (رمزى) بكفِّه ، قائلًا :

— فقط ستستسلمون لى ، حتى يمكننى تنويمكم مغناطيسيًا .

قال فى عصبيَّة :

— أخبرنى ما الذى سنفعله بعد ذلك ؟

أدار (رمزى) بصره فى وجوه الحراس العشرة فى حَذَر ، ثم أجاب فى همس :

— سنقاتل .

كانت إجابة مختصرة للغاية ..

ولكنها كانت كافية ..

وعندما رَانَ الصمت هذه المرَّة ، كان مشوبًا بقلق خفىّ ، وتوتُّر ظاهر ، إلى أن تمتم الدكتور (حجازى) :

— ما رأيكم ؟

تنهَّد نائب القائد الأعلى ، وقال :

— كما قلت ألف مرَّة من قبل .. الموت أفضل من البقاء فى هذا الجحيم .

تمتم الدكتور (عبد المنعم) فى حزم :

— صدقت .

وهنا التفت الدكتور (حجازى) إلى (رمزى) ، وقال فى استسلام :

— حسنًا يا (رمزى) .. ابدأ عملك .. نحن رهن إشارتك ..

تنهّد (رمزى) ، وقال :

ــ يؤسفنى أننى لن أشارككم المخاطرة ، فأنا الوحيد الذى يجيد فن التنويم المغناطيسى ، و .....

قاطعه القائد الأعلى :

ــ نحن نقدّر ذلك ، والآن ابدأ عملك ، قبل أن نفقد أعصابنا ، ونتراجع فى قرارنا .

تنهّد (رمزى) مرّة أخرى ، وقال :

ــ أنت على حقّ يا سيّدى .

والتقط نفسًا عميقًا من الهواء ، ملأ به صدره حتى آخره ، ثم تطلّع إلى وجوههم ، قائلًا فى لهجة آمرة ، وصوت هادئ عميق :

ــ اتركوا عضلاتكم تسترخى تمامًا ، وتطلّعوا إلى عينىّ .. إلى عينىّ فقط ..

* * *

لم يكد (كوماد) يلمح يد (نور) ، وهى تنخفض فى سرعة ، حتى أدرك مغزى الحركة على الفور ، فقفز جانبًا ، محتميًا بجدار الحجرة ..

وانطلقت الأشعة الأرجوانية الساحقة ..

وانسحق قائد القُبّة الوردية ..

وانسحق أربعة من رجاله ..

وصاح (كوماد) ، وهو ينطلق مبتعدًا خارج المكان :

ــ قاتلوا يا جنود (جلوريال) .. لا تسمحوا للأرضيين بهزيمتكم على أرضكم .

أمّا (نور) فقد تحوّل فى لحظة إلى قائد ومقاتل رائع ، وهتف فى (فارس) :

ــ إلى المقاتلات يا (فارس) .. خذ ثلاثة رجال ، وشقّوا طريقكم إليها بالقوّة ، وأنت يا (عدنان) .. انطلق إلى البوّابة ، وافتحها لسور السّرب السعودى فى الخارج .. هيّا .

انطلق (فارس) مع ثلاثة رجال إلى حيث المقاتلات ، فى حين أسرع (عدنان) يشقّ طريقه إلى البوّابة ، وصاح (نور) فى (محمود) :

ــ احْمِ ظهورهم يا (محمود) .. هيّا .

هتف به (محمود) .. عندما رآه ينطلق وحده :

ــ وأنت يا (نور) .. إلى أين ؟

صاح به (نور) :

ــ دَعْك منّى .. إننى سأصبح هدفهم الوحيد .. هذا ما يسعَوْن إليه .

واتسعت عينا (محمود) فى هلع ..

لقد أدرك الدَّوْر الذى سيلعبه (نور) ..

دَوْر الطعم ..

* * *

اتسعت عينا الحارس الخاص للإمبراطور (آمرو) ، وهو يحدِّق فى جثة (جلاكس) الملقاة فى منتصف القاعة الإمبراطورية ، فى حين قال الإمبراطور ، وهو يشير إلى الجثة :

ــ لقد توقَّف قلب الحكيم (جلاكس) فجأة ، فسقط جثة هامدة ، فى خضرتى .. مُرِ الرجال بحمل جثته إلى حجرته ، وإعدادها لتعود إلى كوكبنا (جلوريال) ، حيث يتم دفن مستشارنا الأوَّل فى احتفال مهيب ، فى تراب وطنه .

لم ينتبه الحارس الخاص ..

كان يحدِّق فى الجثة فى ذهول ، حتى صاح به الإمبراطور فى غضب :

ــ ألم تسمع أيها الغبىّ ؟..

انتفض جسد الحارس ، واعتدل واقفًا ، وهو يهتف :



صاح به (نور) ..
ــ دَعْك منّى .. إننى سأصبح هدفهم الوحيد ..

— معذرة يا مولاى الإمبراطور .. لقد أدهشنى الأمر حقًّا .

هتف الإمبراطور فى حنق :

— ولماذا يُدهشك أيها الجندى ؟.. أليس من الطبيعى أن يلقى الحكيم مصرعه بسكتة قلبية مباغتة ؟

صاح الحارس :

— بلى يا مولاى .. ولكن ليس هذا ما يدهشنى .. إننى .. إننى .....

بدا تردُّده واضحًا ، فهتف به الإمبراطور فى عصبيَّة :

— إنك ماذا ؟

أجابه الحارس فى سرعة :

— إننى أشعر بالدهشة لوجوده هنا يا مولاى ، فلقد منعته بنفسى من الدخول ، و .....

قاطعه الإمبراطور فى حِدَّة :

— هل اخترق الحائط إذن ؟

تردَّد الحارس لحظة ، ثم هتف :

— لا يا مولاى .. إنه لم يفعل هذا قطعًا .

صاح به الإمبراطور فى حنق :

— هذا يعنى أنك لم تطع أوامرى إذن .

هتف الحارس فى هَلَع :

— بل فعلت يا مولاى .. أُقسم لك .

صاح الإمبراطور :

— اغرُب عن وجهى إذن ، ونفِّذ أوامرى .

هتف الحارس ، وهو يعدو خارجًا :

— السَّمع والطاعة يا مولاى .. السَّمع والطاعة .

ارتطم فى أثناء خروجه بحارس آخر ، كان يندفع فى لهفة داخل القاعة الإمبراطورية ، فهتف به الإمبراطور فى غضب :

— ماذا تريد أنت أيضًا أيها الغبىّ ؟

لهث الحارس الآخر ، وهو يهتف :

— هناك قتال يدور الآن ، فى القُبَّة (زاود — ٦٣) يا مولاى ، وتقول معلوماتنا إن قائد جيوشنا هناك ، وكذلك .. وكذلك .....

هتف الإمبراطور :

— وكذلك من ؟

أجابه الرجل لاهثًا فى انفعال :

— وكذلك الرائد الأرضى (نور) يا مولاى .

اشتعلت عينا الإمبراطور فى قوة ، وهبَّ من عرشه ، هاتفًا :

— (نور) ؟!

ثم رفع كفه ، صائحًا :

— مُرِ الرجال بنسف تلك القبة .

هتف الحارس فى دهشة :

— ولكن القائد هناك يا سيِّدى .

بدا لحظة أن الإمبراطور سينفجر فى وجهه ، ويثور على مناقشته لأمره ، إلا أنه لم يلبث أن عقد حاجبيه فى شدة ، وهو يقول فى توتر بالغ :

— متى بدأ ذلك القتال ؟

أجابه الرجل منفعلًا :

— بدأ منذ دقائق يا مولاى .

صاح الإمبراطور :

— مُرْ كل قواتنا إذن بالتوجُّه إلى تلك القبة ، ومحاصرتها .

سأله الحارس :

— وماذا عن عيون الحراسة يا سيِّدى ؟

هتف به فى عصبيَّة :

— ماذا عنها ؟

أجابه الحارس فى توتر :

— إن أوامرها الجديدة تقتضى قتل كل من لا يحمل بطاقة الأمن الخاصَّة ، ومن المستحيل تزويد كل القوات بها ، و .....

قاطعه الإمبراطور :

— فلتعد كل العيون إلى قواعدها إذن .. المهم أن نوقع بهذا الرائد الأرضى حيًّا أو ميتًا .

واشتعلت عيناه كالجمر ، وهو يردف :

— وأنا أفضِّله حيًّا ، فهكذا تقتضى خطَّتى .. وهكذا أريده .. حيًّا .. وذليلًا ..

* * *

٨ ـ القتال ..

لم يكد (كوماد) يلمح (نور) ، وهو ينطلق وحده ، محتميًا بأحد جدران المقر ، حتى صاح في رجاله :

ـ اقتلوا هذا الأرضي يا جنود (جلوريال) .. اقتلوه .. سأرقّي من يسحقه منكم قائدًا لهذه القاعدة .

كان هذا كل ما يرجوه (نور) بالفعل ..

أن يتحوّل إلى صيد ثمين ..

وأن تتجه كل الأنظار إليه ..

كانت خطته هي أن يسمح لرجاله بتدبير أمرهم ..

ولقد انهالت عليه عشرات الطلقات ، من الأشعة الأرجوانية الساحقة ، ولولا أن جدران القاعة مصنوعة من تلك المادّة ، المقاومة للأشعة ، لانسحقت سحقًا ، وتهاوت فوق رأسه ..

وعلى الرغم من ذلك فقد أصابتها سيول الأشعة الساحقة بأضرار بالغة ، فراحت تتثنى وتتمايل ، وشعر (نور) بأنها لن تلبث أن تهوى فوقه ، فهتف في أعماقه ..

ـ أسرع يا (فارس) .. أسرع ..

وفي نفس اللحظة كان (فارس) ورجاله الثلاثة يشقون طريقهم نحو المقاتلات (الجلوريالية) في بسالة ، ويطلقون أشعة بنادقهم فيما حولهم في سخاء ..

وسمع (فارس) من خلفه صرخة أحد رجاله ، عندما سحقته طلقة من الأشعة الأرجوانية ، أطلقها أحد جنود (جلوريال) ..

ولكنه لم يتوقّف ..

كان يؤمن تمامًا بأنها شيمة الحروب والمعارك ..

أن نخسر أقرب الناس إلينا ..

وأن نستمر ..

وسقط رجل ثان ..

وأصبح (فارس) وزميله الأخير داخل قاعدة المقاتلات ..

وهتف (فارس) بزميله :

ـ احْمِ ظهري .

ثم اندفع نحو إحدى المقاتلات ، وقفز سلّمها الصغير في سرعة ، ثم ألقى جسده داخلها ، وهتف ، وهو يراجع آلياتها :

— إنها تبدو عاديّة .. صحيح أنها تعتمد على عدد أكبر من الأزرار ، ولكن أسلوب القيادة واحد تقريبًا .

ثم امتدّت يده إلى زرٍّ مميّز ، وهو يستطرد في انفعال :

— هذا يشعل المحرّك .

لم يكد يضغط الزرّ ، حتى اشتعل المحرّك بالفعل ، فهتف في حماس ، وهو يضغط زرًّا آخر :

— وهكذا ننطلق ..

وانطلقت المقاتلة بالفعل ..

وانطلقت داخل القبة ..

وبدأ صراع من نوع جديد ..

* * *

لم تكن مهمّة (عدنان) باليسيرة ..

كان عليه أن يشق طريقه وحده نحو آليات فتح البوّابة ، وتدميرها ، حتى تُفتح الأبواب ، فيجد الرفاق في الخارج وسيلة للدخول ..

ولقد قاتل كالأبطال ، وهو يشقّ طريقه ..

وساعده كثيرًا اتجاه الجميع نحو (نور) ، في محاولة لاقتناصه ، ونيل الترقية التي وعدهم بها (كوماد) ..

وبلغ (عدنان) هدفه ..

ورأى أحد جنود الاحتلال يصوّب إليه بندقيته ، ولكنه لم يأبه به ، بل صوّب فوّهة بندقيته نحو آليات الفتح ، وصاح بكل ما يعتمل في نفسه من مشاعر :

— المجد لكوكب الأرض ..

وفي لحظة واحدة انطلقت الأشعة ..

خيطان انطلقا في آن واحد ، أحدهما سحق (عدنان) ، والآخر سحق الآليات ..

وانفتحت الأبواب ..

ومرّة أخرى اختلّت خطوات الخطّة ، ولكن لصالح الأرض ..

كان (نور) يتوقّع أن يلقى الرجال في الخارج مقاومة عنيفة ، من قبل عيون الحراسة ، وهم يقتحمون القبة ..

وكان يتوقّع أحد عشر رجلًا ..

ولم يحدث هذا أو ذاك ..

لقد انطلق ما يقرب من ثلاثين رجلًا نحو القبة ، ودون مقاومة على الإطلاق ، بعد أن أمر الإمبراطور بسحب عيون الحراسة ، وبعد أن نجح رجال السّرب السعودي في العثور على بعض نسور السّرب المصريّ ، والسّرب الأردني ..

وكانت المفاجأة من نصيب (كوماد) ..

ثلاثون رجلًا من الأرض انضمُّوا فجأة إلى المعركة ..

و (فارس) ينطلق داخل واحدة من مقاتلات (جلوريال) ..

ولم يضع (كوماد) وقته ..

كان قائدًا موهوبًا ، يعلم جيّدًا متى تحين لحظة الانسحاب ..

وكان فى الوقت ذاته وغدًا زنيمًا ..

لقد كان يحتاج إلى من يحمى ظهره فى أثناء الانسحاب ؛ لذا فلم يأمر رجاله به .

تركهم يقاتلون ، وهو يعلم أن الهزيمة مصيرهم حتمًا ؛ ليحمى قائدهم ظهره فى فراره ..

واندفع (كوماد) نحو مقاتلته الصغيرة ، وهو يغمغم فى حَنَق :

ــ اللعنة !! سنلتقى مرّة أخرى أيها الرائد الأرضى .

وبقفزة ماهرة ، أصبح داخل مقاتلته ، وانطلق بها صائحًا :

ــ المجد لـ (جلوريال) ..

ورآه (فارس) ينطلق ، فهتف فى حَنَق :

ــ اللعنة !! أين زرّ إطلاق تلك الأشعة اللعينة ؟!



ورآه (فارس) ينطلق ، فهتف فى حَنَق ..

ــ اللعنة .. أين زرّ إطلاق تلك الأشعة اللعينة ؟.

استغرق منه العثور على زرّ الإطلاق ثوانى معدودات ، ولكنها كانت تكفى لكى يبتعد (كوماد) بمقاتلته بعيدًا ..

وسيطر الأرضيون على الموقف تمامًا ، واحتلّوا أوّل قبة من قباب الغزو ، تسقط فى أيديهم ..

وتعالت هتافات الظَّفر ، واندفع الجميع نحو (نور) ، الذى هتف فى جدّيّة :

ـ مهلًا يا رجال .. إننا لم ننتصر بعد .

صاح أحدهم فى سعادة :

ـ كيف أيها القائد ؟.. لقد نجحنا فى احتلال تلك القبة ، وفى الاستيلاء على المقاتلات ، وعيون الحراسة ، فما هو النصر إذن ، لو لم يكن هذا ؟

هتف (نور) :

ـ النصر ليس مجرّد مرحلة .. إنه هدف كبير ، ولن يتحقّق إلّا بالقضاء على الغزو تمامًا .

هبط (فارس) بمقاتلته فى هذه اللحظة ، وغادرها هاتفًا :

ـ ولكنها خطوة رائعة بالفعل أيها القائد .

ثم أحصى عدد النسور فى سرعة ، قبل أن يهتف فى دهشة وفرح :

ـ عجبًا .. كم نسرًا لدينا ؟

أجابه أحد النسور فى حماس :

ـ ثلاثة وثلاثون نسرًا فى خدمتك .

صاح فى حماس :

ـ ولدينا هنا أربعون مقاتلة .. سنتخلّى إذن عن سبع منها فقط .

أجابه (نور) ، وهو يشير إلى (محمود) :

ـ هل نسيتنى و (محمود) ؟.. وهل نسيت نفسك ؟.. إننا سنترك خلفنا أربع مقاتلات فحسب ، وسننسفها قبل رحيلنا ، و .....

قاطعه فجأة صوت جَهْوَرِىّ يقول من الخارج :

ـ انتبهوا يا رجال المقاومة الأرضية .. نحن نحاصر القبة .. سنمنحكم مهلة قدرها دقيقتان فحسب ، لتستسلموا جميعًا ، وتغادروا القبة رافعى أيديكم فوق رءوسكم ، وفى مقدّمتكم الرائد (نور) ، وبعدها سننسف المكان نسفًا .. أكرّر ..

ساد الوجوم لحظات ، عند ارتفاع النداء ، ثم هتف أحد الرجال فى حَنَق :

ـ اللعنة !!.. لقد ظفِروا بنا .

هتف (نور) فى حزم :

ـ ليس بعد .

ثم أشار إلى المقاتلات ، مستطردًا فى صرامة وحماس :

ـ ما زلنا نملك سلاحًا .

هتف (فارس) فى حزم :

ـ ولن نسمح لهم بالظفر بنا فى بساطة .

وصاح (محمود) :

ـ سنؤكد لهم أن ثمننا باهظ للغاية .

هتف (نور) فى حماس :

ـ دعونا لانضيّع الوقت إذن .. لقد أمهلونا دقيقتين فحسب .

تألق بريق الحزم فى العيون ، ثم انطلق الجميع نحو المقاتلات ، وهتف (نور) عبر جهاز الاتصال الداخلىّ :

ـ الآن .

وعلى الفور انطلقت خمس وثلاثون مقاتلة ، تحمل نسور الأرض ..

وبدأ القتال ..

* * *

٩ ـ النُسُور ..

ارتجف جسد (سلوى) ، وهى تتابع على شاشة الراصد الخاص ، فى المقر السرّى للمقاومة ، انطلاق المقاتلات ، وبدء الهجوم ، وهتفت من أعماقها :

ـ يا إلهى !!.. احفظ لنا (نور) .

أجابتها ابنتها (نشوى) ، وهى ترتجف انفعالاً :

ـ سينجو يا أمى .. سينجو بإذن الله .

راقبت (سلوى) المعركة على الشاشة ، وهى تقول فى توتر :

ـ لقد كان للمفاجأة نصيبها كالمعتاد .. لقد أوقع نسورنا خسائر فادحة بالعدوّ ، مع الهجمة الأولى .

تمتمت (نشوى) :

ـ أتعشّم أن يستمر ذلك .

غمغمت (سلوى) :

ـ وأنا أيضًا .

سألتها (نشوى) فى توتر :

ــ وماذا عن ذلك السلاح المجهول ، الذى طلب (بودون) الأرغورانى من أبى استخدامه ؟

هزّت (سلوى) رأسها نفيًا ، وهى تقول :

ــ لست أدرى .. إنه لم يخبر والدك عن كنهه ، ولكنه طلب منه استخدامه إذا ما تعقّدت الأمور .

سألتها فى لهفة ، وهى تتابع المعركة ببصرها :

ــ هل أخبره بموقعه ؟

أجابتها (سلوى) فى توتر :

ــ لقد ترك جهازًا صغيرًا ، يمكنه أن يقودنا إليه .

ثم هتفت فى ذُعر :

ــ لقد سقطت بعض مقاتلاتنا .. يا إلهى !

أجابتها (مشيرة) فى توتر :

ــ هذا أمر طبيعىّ .. أليست معركة ؟

صاحت (سلوى) :

ــ ولكننى أخشى أن يكون (نور) ..

لم تتم عبارتها ، فلم تكن تحتمل مجرّد ذكر ذلك ..

وانعقد حاجباها فى قوة ، وهى تتابع المعركة ، وقد بلغ توترها ذروته ، ثم لم تلبث أن قالت فى حزم :

ــ أظن أنه من الأفضل أن نعلم طبيعة هذا السلاح .

واندفعت فى حزم داخل حجرة (نور) ، وجذبت أحد أدراج مكتبه فى حِدّة ، والتقطت منه ذلك الجهاز الصغير ، الذى تركه (بودون) ، وتطلّعت إليه فى توتر ، ثم قالت فى صرامة :

ــ نعم .. من الأفضل أن نعلم .

وبكل الحزم ، ضغطت زرًّا صغيرًا فى جانب الجهاز ..

وبدأت عملية البحث ..

* * *

التهبت أعماق الإمبراطور (آغرو) بالغضب ، وهو يتابع المعركة على شاشته الخاصة ..

كان من الواضح أن (نور) ونسوره سيربحون ..

ولقد جُنّ جُنون الإمبراطور ..

وكم شعر بالحنق ، لأنه لم يأمر مقاتلاته بالانضمام إلى المعركة ..

وفى ثورة غضبه ، ضغط زرًّا مجاورًا ، وصاح عبْر جهاز اتصال خاص متطوّر ، ينقل أوامره لجنوده فى مختلف المواقع ، فى آن واحد :

ـ كل المقاتلات فى (مصر) تغادر مواقعها ، وتنطلق إلى (زاود ـ ٦٣) .

لم يكد يلقى الأمر ، حتى أدرك أنه قد يتسبَّب فى حدوث كارثة ، فالمقاتلات لن تدرك مَنِ العَدُوّ ومَنِ الصديق ، لأنها كلها من طراز واحد ، وتحمل شعارًا واحدًا ..

وهنا أسرع يستطرد :

ـ وليتغير لون كل المقاتلات إلى الأصفر ، وليتم سحق كل مقاتلة لا تحمل هذا اللون .

وكان ذلك التخبُّط فى صالح (نور) ونسوره ..

لقد منحهم وقتًا كافيًا للقتال ..

ولقد فقدوا ثمانى عشرة مقاتلة ..

وانتصروا ..

وصاح (فارس) فى سعادة غامرة :

ـ لقد انتصرنا أيها القائد .. انتصرنا .

هتف (نور) ، عَبْرَ جهاز الاتصال الداخلى :

ـ دَعُونا لا نكتفى بهذا الآن .. ولنضرب كل الضربات فى سرعة ، فنطرق الحديد وهو ساخن ، قبل أن يَفيق المحتلُّون من المفاجأة ..

صاح (فارس) فى حماس :

ـ ما الهدف الذى تقترحه أيها القائد ؟

هتف (محمود) من مقاتلته :

ـ ما رأيكم بالمقر الإمبراطورىّ ؟

أجابه (نور) :

ـ لا ريب أن الإمبراطور قد رأى ما حدث ، عَبْرَ راصده الخاص ، واتخذ أهبته لصدّ هجومنا المتوقَّع .

سأله (فارس) :

ـ أنهاجم شاشاتهم إذن ؟

أجاب (نور) :

ـ بل سنختار هدفًا لن يخطر ببالهم قطّ .

سأله الجميع فى اهتمام :

ـ ما هو ؟

صاح بهم فى لهجة حماسية :

ـ ذلك الوغد الذى يحتلّ فضاءنا ، ويراقبنا بعين صقر شرس .. سنهاجم حارسهم الأكبر .. (الرُّعب الفضائى) .

قالها وجذب ذراع قيادة مقاتلته ، فارتفعت إلى الفضاء ..

وانطلقت ست عشرة مقاتلة خلفه ، نحو الحارس الفضائى للغزاة ، والمعروف باسم (الرُّعب) ..

(الرُّعب الفضائى) ..

* * *

(الرُّعب الفضائى) هذا هو سفينة فضاء هائلة ، مزوَّدة براصد عملاق ، يراقب الأرض طِيلَة الأربع والعشرين ساعة ..

ولقد وضعه الغزاة هناك ، للسيطرة على أيَّة محاولة متطوِّرة ، من قِبَل سكَّان الأرض ، لصدِّ الغزو ، أو مقاومة الاحتلال ..

وذاكرَة هذا (الرُّعب الفضائى) مزوَّدة بمختلف تفاصيل الظواهر الأرضية الطبيعية ، المعتاد منها ، والنادر ، وحتى الشديد الندرة ، وببرنامج شديد التعقيد ، لكل الاحتمالات الممكنة لهجوم أرضى ..

ولقد كانت مهاجمة (الرُّعب الفضائى) أشبه بالانتحار ، لما يحتويه من وسائل دفاعية وقتالية كمبيوترية فائقة الدِّقَّة والجَوْدة ..

وكان (نور) ورفاقه يعلمون ذلك ..

ولقد سأل (فارس) (نور) :

ـ هل نهاجمه هكذا .. مباشرة ؟..

أجابه (نور) فى مرح :

ـ وما الذى تتوقَّعه غير ذلك ؟

غمغم (فارس) بعد فترة من الصمت :

ـ كنت أتوقَّع نوعًا من المراوغة فى الواقع .

أطلق (نور) ضحكة قصيرة ، وهو يقول :

ـ خطأ يا صديقى .. المراوغة ستجعله ينتبه إلى اللُّعبة .. صدِّقنى .. الهجوم المباشر سيكون أفضل مراوغة فى التاريخ .

ثم ضاعف من سرعة مقاتلته إلى الحد الأقصى ، مستطردًا :

ـ وسيكفل لنا أولى خطوات النصر .

وكان على حق ..

لقد رصد (الرُّعب الفضائى) انطلاقة المقاتلات السبع عشرة من الأرض ..

ولكنه لم يفهمه ..

لقد بدت له المقاتلات فى البداية ، وهى تخترق الغلاف الجوى ، أشبه بشهاب ينطلق عكس الاتجاه الطبيعى ، أو بظاهرة طبيعية غير مألوفة ..

ولقد بحث فى ذاكرته عن حالة مشابهة ..

بحث طويلًا ..

وارتبك ..

ثم اتضحت الرؤية لأجهزته بغتة ..

ولم يزده هذا إلا حَيْرة ..

كانت تلك الظاهرة عبارة عن مقاتلات فضائية ..

وكانت مقاتلات صديقة ..

ولم يكن برنامجه يحوى أيّة زيارات من هذا النوع ..

وفي هذه المرّة ، لم يجد وقتًا للمجادلة أو البحث ..

لقد واجه أمرًا لا يقبل الجدل ..

واجه هجومًا ..

وانهالت حزم الأشعة الأرجوانية على (الرعب الفضائي) ..

وأجاب هو بالمثل ..

وكانت معركة حامية الوطيس ..

وانسحقت تسع مقاتلات ..

وأصابت الأشعة الأرجوانية أجزاء عدة من (الرُّعب الفضائي) ..

وهتف (فارس) ، وهو يدور بمقاتلته حوله :

— هناك قُبّة وردية صغيرة ، في الطرف الجنوبي لذلك اللّعين ، ويبدو أنها أشدّ أجزائه حساسية ، أو أخطرها ، فهو يدافع عنها في شراسة .

أجابه (نور) :

— هذا صحيح .. من الواضح أن إصابتها قد تدمّره تمامًا ، ولكن عددنا لن يسمح بمهاجمته ، وإصابتها ..

عقد (فارس) حاجبيه ، وهو يقول في حَنَق :

— هذا صحيح .

ثم ازداد انعقاد حاجبيه ، وهو يضيف :

— إلّا إذا .....

بتر عبارته بغتة ، ثم دار بمقاتلته ، وانطلق بها بعيدًا في الفضاء ، فهتف به (نور) عَبْرَ جهاز الاتصال :

— إلى أين يا (فارس) ؟

أجابه (فارس) في انفعال ، وهو يواصل انطلاقه مبتعدًا :

— هناك نظرية قديمة أيها القائد ، تقول إن الجسم يزداد صلابة ، مع ازدياد سرعته ، حتى أن العلماء قد تمكّنوا من اختراق لوح من الصلب ، يبلغ سُمكه سنتيمترًا واحدًا ، بقنبلة من الشمع ، ثمّ إطلاقها بسرعة بالغة(*) .

(*) حقيقة علمية .

سأله (نور) فى توتر :

ـــ أعلم هذا ، ولكن ما الذى يعنيه ؟

أوقف (فارس) مقاتلته ، واستدار بها ليواجه (الرُّعب الفضائى) ، وتلك القُبَّة الوردية ، فى الطرف الجنوبى منه ، وهو يقول فى حزم :

ـــ يعنى أنه ربما كانت هناك وسيلة لتدمير ذلك الوغد ، وتحرير الأرض من سيطرته اللَّعينة .

قالها وضغط عصا القيادة فى قوة ، فانطلقت مقاتلته نحو (الرُّعب الفضائى) بسرعتها القصوى ، وصرخ (نور) :

ـــ لا يا (فارس) .. لا .. سنجد وسيلة أخرى فى المستقبل حتمًا .

أجابه (فارس) فى حزم :

ـــ مَنْ يدرى ما الذى يخبئه لنا المستقبل أيها القائد ؟.. ربما كانت هذه هى آخر فرصة نبلغ فيها ذلك اللَّعين .

صاح (نور) :

ـــ كلَّا يا (فارس) .. كلَّا ..

ولكن (فارس) أجابه فى صرامة :

ـــ معذرة أيها القائد .. إنه قرارى .. وسأقطع الاتصال فيما بيننا .. وداعًا .

عاد (نور) يصرخ :

ـــ لا يا (فارس) .. لا تفعل ذلك .

ولكن (فارس) لم يسمعه ..

لقد أنهى الاتصال ..

وراحت مقاتلته تندفع نحو (الرُّعب الفضائى) فى سرعة مخيفة ..

وفى ذهنه ، راح شريط من الذكريات يجرى بسرعة النور ..

ذكريات لم يعشْ معظمها ..

ذكريات نقلها إليه جده ، عن جدوده ..

ذكريات فروسية وبطولات ..

وخُيِّل إليه أنه يمتطى فرسًا عربية ، ويمتشق سيفًا بتَّارًا ..

ومن أعمق أعماق نفسه أطلق صرخة ردَّدها الفضاء لأجيال وأجيال ..

صرخة مقاتل ..

صرخة (فارس) يهتف :

ـــ ارتجفى أيتها القُبَّة اللَّعينة .. لقد جاءك (فارس) .

وأطلق (نور) صرخة ملتاعة :

ـ لا يا (فارس) .

ورأى آخر نسور المقاومة مقاتلة (فارس) ، وهى تنقضّ عل القُبّة الوردية الصغيرة كالصاعقة ، وتراوغ شعاعًا أرجوانيًا أخيرًا ، ثم ترتطم بها ..

ودوّى الانفجار ..

* * *



ورأى آخر نسور المقاومة مقاتلة (فارس) ، وهى تنقضّ عل القُبّة الوردية الصغيرة كالصاعقة ..

١٠ ــ السُّقوط ..

لم تصدّق (نشوى) عينيها ، وهى ترى ما حدث ، على شاشة الراصد الخاص ، فتجمّد لسانها فى حلقها لحظات ، واتسعت عيناها فى صمت ، قبل أن تقفز من مكانها ، وتهتف فى سعادة غامرة :

ــ لقد هزمناه .. لقد هزمنا ذلك الوغد .

ثم قفزت تحتضن (مشيرة) ، صائحة :

ــ لقد انفجر (الرُّعب الفضائى) .. لقد قطعنا نصف الطريق نحو الحرّيّة .

هتفت (مشيرة) فى سعادة :

ــ أرأيت يا (سلوى) ؟.. لقد فعلها رجالنا بالفعل .

مسحت (سلوى) دمعة ترقرقت فى عينيها ، وهى تغمغم :

ــ لقد رأيت ما حدث .. رأيته .

ثم اتجهت نحو خريطة بحث إليكترونية ، وراحت تتابع بعض النقاط المضيئة فوقها ، فهتفت بها (نشوى) :

ــ ماذا تفعلين يا أمّاه ؟

أجابتها (سلوى) ، وقد سالت دموعها على وجنتيها :

ــ أبحث عن الموضع ، الذى ترك فيه (بودون) سلاحه السِّرّىّ يا بنيّتى .

صاحت بها (نشوى) فى دهشة :

ــ ولكن لماذا يا أمّاه ؟.. لقد حطّم رجالنا (الرُّعب الفضائى) ، و .....

قاطعتها (سلوى) فى صوت باكٍ :

ــ وتبقّى منهم أربعة رجال فحسب .. إنكما لم تنتبها إلى ذلك ، ولكننى أنا فعلت .. أنا أحصيت المقاتلات التى تبقّت .. وعلمت أننا قد فقدنا الجميع تقريبًا .

وتفجّرت الدموع من عينيها ، وهى تستطرد :

ــ وقد يكون (نور) من بين من فقدناهم .

انتبهت (نشوى) إلى ذلك الاحتمال للمرّة الأولى ، فشحب وجهها ، وهتفت فى ارتياع :

ــ أبى !!.. يا إلهى !

سالت الدموع من عينى (سلوى) غزيرة كالشلال ، وهى تقول :

— كنت أتوقع مثل هذه النهاية ، منذ بدأنا المقاومة ..
كنت أتوقع أن يلقى (نور) حتفه يومًا .

تفجرت الدموع فى عينى (نشوى)، وهى تهتف بدورها :

— يا إلهى !!.. أبى !!

قالت (سلوى) فى حزم :

— كنت أتوقع ذلك ، ولكن (نور) علمنى درسًا .

بدت صلبة ، على الرغم من حزنها وآلامها ، وهى تتابع :

— أن الكل أهم من الجزء .

تمتمت (مشيرة) فى خفوت :

— ماذا يعنيه هذا ؟

أجابتها فى صرامة :

— يعنى أنه حتى لو فقدنا أحب الناس إلى قلوبنا ، فلا ينبغى أن نهمل الهدف الأعظم أبدًا .

صمتت لحظة ، ثم أضافت فى حزم :

— الوطن .

وعادت تتابع تلك النقاط المضيئة ، التى تركزت كلها عند نقطة واحدة ، فى الطرف الشمالى للبلاد ، حيث وضع (بودون) مركبته الفضائية الصغيرة ..

وحيث أخفى سلاحه السرّى ..
أمل الأرض الأخير ..

* * *

انحدرت الدموع من عينى (نور) ، إثر انفجار (الرعب الفضائى) ..

دموع فرح ، تمتزج بدموع ألم ومرارة ..

الفرح لتحقيق ذلك النصر ..

والألم والمرارة لفقد (فارس) ..

وفى صوت خافت ، سأل (نور) :

— مَنْ تبقَّى ؟

أتاه صوت (محمود) ، عَبْرَ أجهزة الاتصال ، يقول :

— أنا واثنان آخران يا (نور) .

غمغم فى حزن :

— فقط ؟!

أجابه (محمود) :

— نعم يا (نور) .. فقط .

وأتاه صوت مقاتل أردنى ، يقول :

— ولكن ما حققناه من نصر يستحق ذلك الثمن .

تنهّد (نور) فى عمق ، وهو يغمغم :

ـ ربّما .

قال (محمود) فى خفوت مماثل :

ـ والآن ماذا علينا أن نفعل ؟

أجابه (نور) فى هدوء :

ـ نعود إلى الأرض .

قال (محمود) فى توتّر :

ـ سيكونون فى انتظارنا حتمًا .

تنهّد (نور) مرّة أخرى ، مجيبًا :

ـ لقد اعتدت ذلك .

وانطلق بمقاتلته عائدًا إلى الأرض ..

وعبَرت المقاتلات الأربع الغلاف الجوىّ للأرض كأربعة نيازك نارية ..

وفجأة ، انقضّت عليها مقاتلات الإمبراطور ..

وفى كل مقاتلة منها ، ارتفع صوته ، وهو يهتف فى هياج :

ـ ابذلوا أقصى جهدكم لأسرها .. أريد قادة هذه المقاتلات أحياء .. أريدهم كذلك بقدر الإمكان ..

وبناءً على أوامره ، راحت مقاتلاته تناور المقاتلات الأربع فى براعة ، وهتف (محمود) :

ـ إنهم يحيطون بنا من كل جانب يا (نور) .. لقد انتهى أمرنا .

أجابه (نور) فى حزم :

ـ ليس بعد .. أظنهم لا يقصدون قتلنا .. بل أسرنا فحسب ، فهم يفوقوننا عددًا ، بنسبة واحدة إلى مائة ، ولكنهم لم يحاولوا قتلنا بعد .

هتف (محمود) فى توتّر :

ـ ولكن لماذا ؟

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يجيب :

ـ لست أدرى ، ولكن يمكننا أن نختبر ذلك .

قالها ، وانحرف بمقاتلته بغتة ، وانطلق نحو الغرب ..

ولم تطلق مقاتلة واحدة أشعتها عليه ..

لقد انفصلت عشر مقاتلات عن السّرب ، وراحت تطارده فى إصرار ، فى محاولة لتطويقه من جديد ..

وأطلق (نور) العنان لطائرته ، وانطلق بها بالسرعة القصوى ..

وعبَرت المقاتلات شمال (أفريقيا) كله ، وراحت تنطلق فوق المحيط الأطلنطى ، وقال قائدها عبْر جهاز اتصاله :

— نطلب الأمر بالاشتباك ، خشية أن نفقد الهدف .

مرّت مرحلة من الصمت ، ثم أجابه الإمبراطور : .

— فليكن ، ولكن حذار من توجيه ضربة مباشرة .. إصابة فى الذيل تكفى .. أريد قائد هذه المقاتلة حيًّا .

أجابه القائد فى حزم :

— سمعًا وطاعة يا مولاى .

ثم أنهى الاتصال ، واستطرد فى سُخرية :

— ولكن احتمالات الخطإ قائمة .

وأطلق أشعته نحو مقاتلة (نور) ..

وفى منتصفها تمامًا ..

* * *

تطلّع (رمزى) فى توتر إلى وجوه الرجال الثلاثة ، الذين استسلموا لإدارته تمامًا ، وغمغم :

— تُرى ، هل تنجح تلك الخُطّة الجُنونية ؟

اقترب منه أحد الغزاة فى هذه اللحظة ، وهو يقول فى خشونة :

— لا تقف هنا .. الاجتماعات الخاصّة ممنوعة .. عودوا إلى عملكم ..

توتّرت كل عضلة فى جسد (رمزى) ، وأدرك أن ساعة الحسم قد حانت ، فاعتدل فى وقفته ، وعقد ساعديه أمام صدره ، وقال فى صرامة :

— ليس لك الحق فى أن تأمرنى .

خُيّل للحارس أنه لم يسمع العبارة جيّدًا ، فهتف فى دهشة :

— ماذا تقول أيها الأرضى ؟

أجابه (رمزى) فى جِدّة :

— أقول إنه ليس لك الحق فى أن تأمرنى ، وأننى لن أعود إلى عملى .

رَانَ صمت رهيب على المكان ، واتجهت كل العيون فى شفقة ودهشة نحو (رمزى) ، وغادر الحرّاس أماكنهم ، واتجهوا إليه فى غضب ، وهتف أحدهم فى غلظة :

— هل أصابك الجُنون أيها الأرضى ؟.. عُد إلى عملك قبل أن .....

قاطعه (رمزى) فى جِدّة :

— قُلت لك إننى لن أعود .

عقد الحارس حاجبيه ، وقال فى حَنَق :

- حسنًا أيها الأرضى الأحمق .. أنت أردت ذلك .

ورفع خمسة من الحرّاس العشرة فوّهات بنادقهم نحوه ..

وحانت لحظة الحسم الحقيقية ..

وأصبح (رمزى) أمام خيارين ، لا ثالث لهما ..

إمّا أن تنجح خطّة ..

أو يموت ..

* * *

كان (نور) ينطلق بسرعة خرافية ..

ولقد أنقذته سرعته ..

لقد تجاوزته الأشعة الأرجوانية بسنتيمترات قليلة ..

وجُنّ جُنون قائد المقاتلات ..

وأطلق نحو (نور) طلقة أخرى ، وهو يصرخ :

- لن تفلت أيها الأرضى ..

ولم يفلت (نور) حقًا ..

أصابت الطلقة الأرجوانية دفّة مقاتلته ، وسحقتها سحقًا ..

وفقدت المقاتلة توازنها ..

وفجأة ، وجد (نور) نفسه يندفع بسرعة مذهلة نحو مياه المحيط الأطلنطى ، ويرتطم بها فى عنف ..

وبسرعة خرافية ، راح مؤشّر الارتفاع يشير إلى كيلومترين تحت سطح المحيط .. ثم ثلاثة كيلومترات ..

وأدرك (نور) أن المقاتلة لن تحتمل ذلك الضغط الهائل ..

وأنها النهاية ..

وواصلت المقاتلة غوصها ، وإن انخفضت سرعتها كثيرًا ، بفعل مقاومة المياه ..

وعندما أشار المؤشّر إلى أربعة كيلومترات ، تحت سطح المحيط ، سمع (نور) صوت جدران المقاتلة ، وهى تنطبق ، وتتهشّم ..

وكانت حقًا النهاية ..

نهاية معركة (نور) ..

* * *

[انتهى الجزء الرابع بحمد الله ،
ويليه الجزء الخامس والأخير]

(النصر)